

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الثالث - السنة السادسة
رجب 1382 - ديسمبر 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

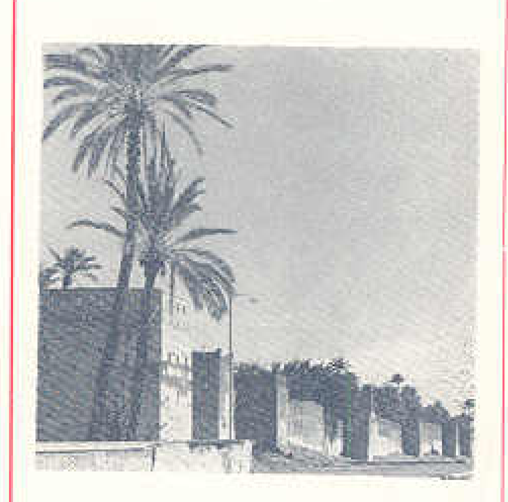
العدد الثالث
السنة السادسة
جمادى الثانية 1382
دجنبر 1962
ثمن العدد 1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



نموذج من أسوار المدن المغربية القديمة

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة «دعوة الحق» رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

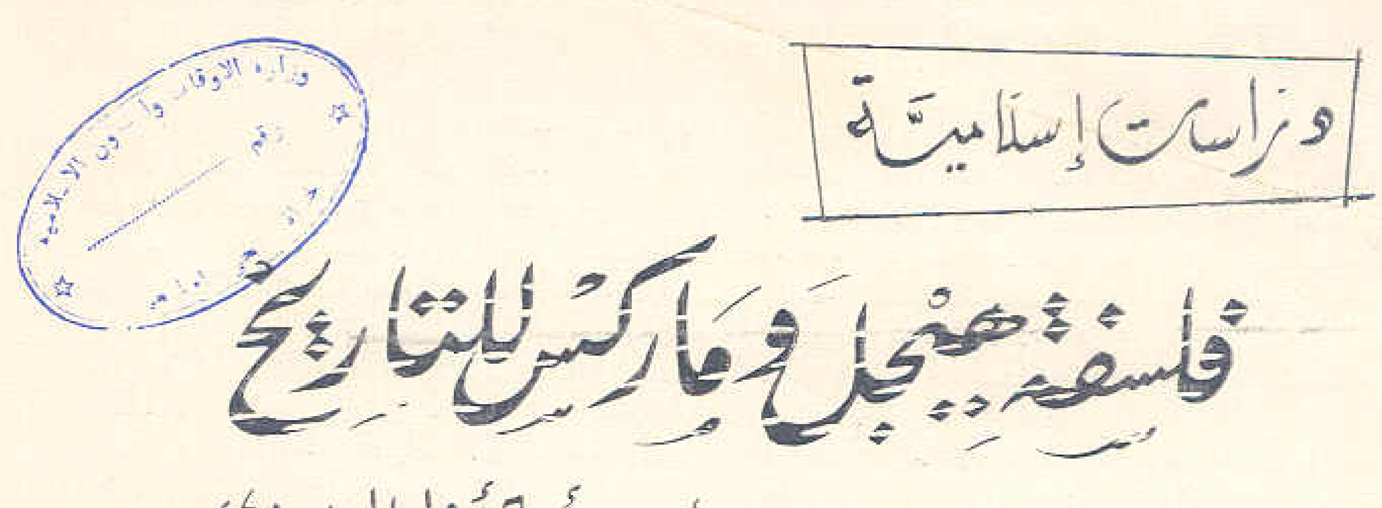
او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

«دعوة الحق» ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط



لفضيلة الأستاذ أبو الأعلى المودودي

ان الضلالات الكبيرة التي قد تدفق بها على الانسانية سيل الحضارة الجديدة ، من منابعها الفكرية المهمة تلك الفلسفة للتاريخ التي قد تقدم بها هيجل والتي بنى على مقدماتها كارل ماركس تفسيره المادي للتاريخ فيما بعد .

فلسفة هيجل للتاريخ خلاصتها ان الارتقاء في الحضارة الانسانية انما يحصل بظهور الاضداد وتصادمها ثم تمازجها ، وان كل دور من ادوار التاريخ في حد ذاته وحدة وكل — او بلغة الاستعارة — وجود جسد حي ، وان مختلف نظريات الانسان من سياسية واقتصادية ومدنية وخلقية وعلمية وعقلية ودينية تكون على مرتبة خاصة ويكون بينها التناسب والتلاؤم والتساند في هذا الدور ، كانها وجوه مختلفة لهذا الوجود الحي او الوحدة العصرية تجري فيها روح هذا الدور كله .

وعندما ينتهي دور كبير من ترقية روحه الى ارفع ما يستطيع من معارج الكمال ، وعندما تنتهي المبادىء والنظريات والافكار الانسانية التي تقوم بتسيير هذا الدور الى الارتقاء الى آخر حد من حدود طاقتها ، يظهر من حضن هذا الدور نفسه بعد ان يترعرع فيه ويتقوى عدوه طائفة اخرى من الافكار والميول والنظريات والمبادىء لا تتولد الا لان هذا الدور المتداعي يقتضيها بنفسه ، ثم يشرع في محاربة الافكار القديمة .

وتبقى الحرب قائمة بين القديم والجديد الى مدة من الزمان . واخيرا يحصل الامتزاج بينهما بعد الاخذ والرد وتخرج الى حيز الوجود حضارة عصرية جديدة بامتزاج عناصر قديمة واخرى جديدة . وهكذا يبدأ دور جديد من ادوار التاريخ .

ثم عندما ترتقي روح هذا الدور الجديد الى اعلى مدارجها ، يظهر من حضنها ايضا عدوها وتقوم بينهما الحرب حتى يتولد مزيج جديد بامتزاج عناصر من هذا وعناصر من ذاك بعد الاخذ والرد يكون روحا لدور جديد من الحضارة والمدنية .

وهذه العملية للارتقاء هي التي يعبر عنها هيجل حسب اصطلاحه بالعملية الجدلية ، فكأن عصر التاريخ او ميدان الدهر قائمة فيه — في نظره — مجادلة منطقية متسلسلة ، تقوم اولا الدعوى ثم يظهر في مقابلها جوابها ، وبعد ان يطول بينهما الصراع فان العقل الكلي او الروح الكلية تعقد بينهما الصلح اي يجعل منهما مزيجا بقبول شيء من هذا وشيء من ذاك ، وهذا المزيج عندما يتقدم قليلا يتحول الى دعوى ، ثم يواجه هذه الدعوى جوابها ، ثم ينعقد بينهما الصلح بعد الحرب بينهما ويأتي الى حيز الوجود مزيج جديد ، وهلم جرا .

فالعملية الجدلية بموجب نظرية هيجل هذه عملية اجتماعية شاملة ، ومعنى هذا ان الحضارة الانسانية بكل شعبها وفروعها في كل عصر من عصور التاريخ جسد حي متوحد ، او وجود متكامل ، وليس الافراد والطوائف الا اعضاء او اجزاء لهذا الجسد المتوحد ، فعلى هذا لا يمكن لفرد من الافراد ولا لطائفة من الطوائف ان تتحرر من الروح الكلية لمدنية عصرها وحضارته ، فكل انسان مهما كان كبيرا ومن المع الشخصيات التاريخية واشهرها ليس في هذه اللعبة

الجدلية او الصراع للبقاء الا بمثابة قطعة من قطع البيدق في لعبة الشطرنج ، فالفكرة المطلقة في تدفق النهر الجارف هذا لا تزال بنفسها تتقدم في مسير التاريخ في ابهة كأبهة الملوك دون منازع او مصادم ، تعرض الدعوى اولا ، ثم تعرض جوابها ، ثم تعقد بينهما الصلح بالتركيب بينهما . ومن اعاجيب العقل الكلي او الروح الكلية انه يغر الافراد ويضللهم بانهم في هذه المسرحية يلعبون دورا هاما ، دور الابطال البارزين ، مع ان العقل الكلي هو الذي يستعملهم لذاته في حقيقة الامر (*)

اما كارل ماركس فقد استقى من نظرية هيجل الفلسفية هذه فكرة العملية الجدلية وفصل عنهما تصور الروح او الفكرة ، الامر الذي كان جوهرا لفلسفة هيجل ، وجعل الاسباب المادية او المحركات الاقتصادية وحدها هي الاساس لسير التاريخ وتطوره وارتقائه . قال ان الامر الذي له الاهمية الحقيقية في حياة الانسان انما هو الاقتصاد وان النظام الاقتصادي في كل عهد من عهود التاريخ ، هو الذي يرسم الصورة الكاملة للمدنية الانسانية في ذلك العهد. فالقانون الاخلاقي والدين والفلسفة والعلوم والفنون وبالجملة سائر الافكار والتصورات الانسانية لاتتشكل الا بتاثير هذا النظام الاقتصادي

اما الوجه الذي تظهر عليه العملية الجدلية اثناء التاريخ عند ماركس ، فهو ان اي طبقة من الناس عندما تضع يدها على اعداد اسباب الحياة وتهيئتها وتوزيعها وتجعل سائر الطبقات الانسانية محتاجة اليها متسولة امامها تحت نظام خاص للاقتصاد ، يبدا القلق والاضطراب يرفع راسه في الطبقات المستضعفة ويجعلها اخيرا تقوم مطالبة بنظام جديد لتوزيع الثروة الاقتصادية واسباب الحياة وحقوق الملكية يكون اكثر ملاءمة لمصالحها ، مما هو – بكلمات اخرى – جواب لدعوى النظام القديم او عدوه انما ينشا ويكبر في حضنه هو ، فهناك يبدا الصراع وينشب النزاع بينهما ، والمجموعة الكاملة لقوانين النظام الحاضر ودينه واخلاقه ونظرياته لاتؤيد في هذا الصراع الا النظام القائم في هذا العهد من ذي قبل . اما عن الجهة الاخرى ، فان القوى الناشئة الجديدة ، التي انما تقوم بمطالبتها في حقيقة الامر لتغيير النظام الاقتصادي واسسه تجد نفسها مضطرة الى ان ترد هذه المجموعة القديمة للتصورات القانونية والدينية والاجتماعية وترتب بدلا منها مجموعة اخرى تكون على وفاق مع نظامها الاقتصادي المنشود . فهذا الصراع الطبقي يبقى قائما على قدم وساق الى ان يتبدل النظام الاقتصادي آخر الامر ، واذا حدث هذا ، فلا بد للتصورات القانونية والدينية والاخلاقية والفلسفية القديمة ان تخلي مكانها للتصورات الجديدة .

هذا هو تفسير ماركس المادي للتاريخ وهو يعرف عامة بالمادية التاريخية او المادية الجدلية ، فمسالة تهيئة اسباب المعيشة وتوزيعها هي المحور لارتقاء المدنية الانسانية وما يطرا على التاريخ الانساني من تغيرات وتقلبات . وفي نظر ماركس ان هذا المحور هو الذي تدور حوله الحياة الانسانية . واما القوة المحركة لهذا المحور الا قوة الصراع الطبقي وليست هناك – عنده – مبادىء ابدية للدين والاخلاق والحضارة الانسانية تكون حقا وصدقا في حد ذاتها ، وعلى العكس من هذا يقول ماركس بان الانسان يختار اولا طريقا تقتضيه مصالحه الذاتية وتشتهيه اغراضه الاقتصادية ثم يختلق دينا وفلسفة للاخلاق ونظاما للافكار والنظريات ليحكم بها هذا الطريق ويسيره بنجاح ويثبت للناس حقانيته ، ومما يطابق الفطرة والعقل معا – في نظر ماركس – ان طبقة من الناس اذا وجدت مصلحتها الاقتصادية في طريق آخر لها ان ترد نظامها الاقتصادي السابق وترد معه ما يقوم عليه من التصورات الدينية والاخلاقية والقانونية والمدنية وتختلق بدلا منها عقائد ومبادىء جديدة اخرى تلتئم مع مصلحتها الاقتصادية ، وفوق هذا يقول ماركس ان الصراع للاغراض الذاتية المادية هو من عين ماتقتضيه الفطرة وان الطريق الوحيد لارتقاء التاريخ الانساني

---

*) ان ذات الله هي التي يعبر عنها هيجل بالعقل الكلي او الروح الكلية او الروح المطلقة او الفكرة المطلقة وما اليها من الكلمات الاخرى في حقيقة الامر ، فعنده ان الروح الكلية اي الذات الالهية هي التي ترتقي بصورة ارتقاء المدنية او الحضارة الانسانية وان الله هو الذي يظهر نفسه بنفسه وراء هذا الحجاب ويكدح ويكد لترقية ذاته ويتقدم في مسير التاريخ . واما الانسان ، المسكين انما يستعمل كمظهر خارجي او اداة ظاهرة للتنفيذ .

ان تتنازع وتتصادم وتتكالب مختلف طبقات الناس فى ما بينها لاغراضها ومصالحها الذاتية المادية ، لان الانسان ماقطع حتى الآن من مراحل التاريخ الا متخاصما متقاتلا بعض افراده مع بعض وان ليس عليه الآن الا ان يستمر يقطع مراحل التاريخ بالنسبة للمستقبل هكذا ، وانه اذا كان هناك اساس للاتفاق والمصالحة بين مختلف افراده فانما هو اتحادهم على الاغراض الاقتصادية المحض ، فكل من كانوا متحدين بينهم على هذا الاساس ، فلا عليهم اذا اجتمعوا بصورة طائفة وقاتلوا سائر الناس المختلفين عنهم على هذا الاساس .

اننا لسنا نريد فى هذا المقال الوجيز ان نتتبع نظريات هيجل وماركس انتقادا ، انما الذي نريد بيانه هنا ، هو ان هذه النظريات قد خطت اليوم وجهة نظر اهل العلم كافة فى الدين والاخلاق والحضارة والعمران من اساسها وان الذين قد تاثروا منهم بفلسفة هيجل ، قد القى فى روعهم امران :

1 ــ ان الحضارة بجملتها فى كل عصر من عصور التاريخ وحدة وان كل ما يوجد فى عصر من العصور من الاخلاق والقوانين والدين والعلم والفلسفة والفن والعلائق الدولية ، انما هي فى حقيقة الامر مظاهر مختلفة للطبيعة الاجتماعية او الروح الكلية لذلك الزمان .

2 ــ ان اي مدنية من مدنيات الانسان عندما تدرك وتبلغ ذروة كمالها ، فان مجموعة جديدة من الميول والافكار والنظريات والتصورات تبرز الى الوجود من داخل نفس تلك المدنية وتشرع فى محاربة الافكار والنظريات القديمة الى ان تخرج الى حيز الوجود مدنية جديدة يبقى فيها كل ما فى المدنية القديمة من العناصر الصالحة وتحل مكان العناصر غير الصالحة عناصر ثمينة من الافكار والميول والنظريات الجديدة ، وهكذا فان مختلف المدنيات التي ما زالت ولا تزال تظهر الى الوجود تكون اصلح وافضل من سابقاتها لانها تحوز فى نفسها كل ما فى المدنيات السابقة من العناصر الصالحة ، ومع هذا تضيف الى هذه العناصر عناصر ثمينة اخرى من الافكار والنظريات الجديدة .

من الظاهر ان احدا اذا رسخت فى ذهنه هاتان الفكرتان ، فمن المحال ان يكون او يبقى مومنا بتعليم قد مضى عليه غير واحد من القرون . ولا بد على هذا انك كلما ذكرت له ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، قال « كل واحد من هؤلاء وليد زمانه وجوابا لدعوى المدنية السائدة فى ذلك الزمان ، مما قد اصبح بعده جزء لمدنية مزيجة بعد ان جرى عليه ما جرى من فترة الصراع والاخذ والرد ، وكم من جواب قدم لكم من دعوى بعده مازالت المدنية الانسانية تجتاز بعده مراحل التقدم والرقي حتى بلغت الزمان الذي نعيش فيه ، اننا نجل هؤلاء الافراد ونعترف لهم بما يستحقون من الفضل والتقدير من حيث ما قاموا به لترقية المدنية الانسانية وازدهارها فى عهودهم ، ولكن لايصح البتة ان نرجع القهقرى ونجابه دعوى المدنية الحاضرة بجواب قديم قد اكل عليه الدهر وشرب .

ان اتباع ماركس مشتركون مع اتباع هيجل فى هاتين الفكرتين . ومع هذا فقد استولت على اذهانهم فكرة ثالثة هي انهم لا يرون كل ما يوجد فى عصر خاص من عصور التاريخ من الافكار والتصورات الدينية والخلقية والقانونية الا متولدا من النظام الاقتصادي السائد فى ذلك العصر ويقولون ان هذه التصورات والمبادىء والقوانين ما كانت وضعت الا لحماية وحفظ النظام الاقتصادي الرائج فى ذلك الزمان . فالنتيجة المنطقية اللازمة لعقيدتهم هذه انه كلما تبدل طريق لتهيئة وتوزيع اسباب المعيشة للانسان ، فلابد ان يتبدل مع هذا كل شيء من الدين والاخلاق والقانون، لانها ما كانت تساير الا النظام الاقتصادي القديم ولا تستطيع ان تساير روح النظام الجديد .

فهل لاحد ان يدعي ان من كان يعتقد بنظرية ماركس هذه ، يستطيع ان يكون ــ فى الوقت ذاته ــ مومنا بتعليم ديني او شريعة او نظام خلقي تكون مضت عليه عدة قرون من الزمان ؟ .

وقد نشر احد اخواننا الشيوعيين مقالا عنوانه اي شيء لاتجده فى الشيوعية ؟ » حاول ان يثبت به ان لاتناقض هناك بين الشيوعية والاسلام . ولربما تكون هناك رجال آخرون من امثاله يقولون بصحة هذه الفكرة ، فاني اطلب منهم ان يدرسوا اولا تفسير ماركس المادي للتاريخ ونتائجه المنطقية ثم يتفكروا اى مجال يبقى لمن اعترف بصحة هذه الفكرة للقول بانه مسلم ؟ لا ريب انه من حق كل شخص ان يختار ما يشاء من عقيدة ، فهم ان كانوا يعتقدون بصحة

نظرية ماركس ، فلهم ان يختاروها ، ولكن من الواجب عليهم مع ذلك ان يكونوا على بينة من الامر الواقع . انهم ان كانوا يدعون اتباعهم للعقيدة ويقولون مع هذا انهم معتقدون بضدها ، فان ذلك ان كان يدل على شيء فانما يدل على ارتباك في اذهانهم ، مما يدعو الى الاسف ويبعث على الاسى .

لقد حاول كل من هيجل وماركس ان يدرك الحقيقة ولكنه فشل في ادراكها فشلا ذريعا . ان كل واحد منهما وجد جانبا من الحقيقة فحاول ان يثبته الحقيقة التامة ، حتى كان من نتيجة ذلك ان وقع في خطل الراي وترك غيره كذلك يتخبطون في مجاهل الخطا خبط عشواء .

اذا كان هناك شيء صحيح في فلسفة هيجل للتاريخ ، فانما هو ان ارتقاء المدنية الانسانية اثناء التاريخ ما زال يحصل بصورة الحرب بين الاضداد اولا ثم التصالح بينها بعده ، الا ان هيجل مزج هذه الفكرة الصحيحة بافكار خاطئة كثيرة حتى اقام بناء نظرية لا تقوم اكثر اعمدتها الا في الفضاء .

ان قول هيجل بان الله روح العالم وان الله انما يجعل الانسان اداة لاستكمال ذاته ، وان تاريخ ارتقاء المدنية الانسانية انما هو تاريخ ارتقاء الله نفسه الى منتهى كماله ، فما كل هذا الا آراء سخيفة ليس في السماء ولا في الارض ما يثبت صحتها ثبوتا يرتاح اليه القلب وتطمئن اليه النفس .

ثم ان قوله بان الانسان في مسرح التاريخ انما هو ممثل لا شعور له ولا اختيار ولا ارادة وان الله هو الذي يعرض الافكار المتعارضة بوساطة الناس ويجعلهم يقتتلون بعضهم مع بعض ثم يعقد بينهم الصلح ويحدث فيهم صورا جديدة للفكر والخيال ، فهذا ايضا قياس فاسد لا اساس له من الصحة ولا تؤيده حقيقة علمية .

فهذه هي اخطاء هيجل الاساسية قد جعلت فلسفته للتاريخ لغزا من الالغاز ثم اننا اذا نظرنا في نظريته للجدل التاريخي ، وجدنا ان هذه النظرية وان كانت فيها لمحة من الصدق والحقيقة ، الا ان عنصر القياس والتخمين فيها اكثر بكثير من عنصر الاستشهاد بوقائع التاريخ . ان هيجل ما حاد عن جادة الصواب الى حد قوله بان الحرب ما زالت قائمة بين الافكار المتضادة اثناء التاريخ وان الصلح ما زال يحصل بينها

ـ كذلك ـ بصورة مزيج ، الا انه لم يكرس جهده ليغور في المسالة ويعرف ما هي نوعية الاضداد التي تحصل بينها الحرب في الحقيقة ، ولما ذا ينعقد الصلح بينها آخر الامر ، واما ذا ان المزيج الذي ياتي الى الوجود بهذا الصلح ، يتولد في حضنه عدوه بعد ذلك ، فبدلا من ان يدرس هيجل هذه العملية الجدلية دراسة وافية تحليلية اكتفى بان القى عليها نظرة عابرة كما يلقي الطائر نظره على مدينة اثناء طيرانه فوقها .

اما ماركس ، فلم يكتب له مثل ذلك التعمق في النظر والتحقيق ، الذي كتب لهيجل . انه لا يحاول اصلا ان يعرف ويفهم فطرة الانسان وبنيته وتركيبه فهو ـ لذلك ـ انما ينظر فيه الى الحيوان الخارجي الذي تمسه الحاجة الى اسباب المعيشة ، ولا ينظر ابدا الى الانسان الداخلي الذي يعيش في داخل غلاف هذا الحيوان الخارجي ، والذي كان الحيوان الخارجي له آلة من آلات العمل ، كما ان مقتضيات فطرته مختلفة عن مقتضيات فطرة الحيوان الخارجي . ان قصور نظر ماركس وقلة فهمه لحقيقة الانسان خطات عليه كل نظرياته العمرانية فظن ان الانسان الداخلي انما هو تابع او خادم بل عبد للحيوان الخارجي ، وان كل ما اوتي من قوى العقل والاستدلال والفكر والبحث والمشاهدة والوجدان والتحقيق والاختراع ، انما هو لخدمة الحيوان الخارجي وتحقيق شهواته ومطالبه واغراضه ولهذا فان غاية ما قد قام به الانسان الداخلي حتى الآن او سيقوم به او يستطيع ان يقوم به في المستقبل ، انما هو ـ على حسب قول ماركس ـ ان يضع مبادىء للاخلاق والقانون ويخترع تصورات الدين ويعين لنفسه طريقا للحياة وفقا لاهواء الحيوان الخارجي ! ! .. ما اتعس هذه الفكرة لحقيقة الانسان ! وما ابشع هذا التصور للمدنية الانسانية ! .

اننا لا نشك ان احاسيس الحيوان الخارجي ومطالبه كثيرا ما تؤثر في قوة ارادة الانسان الداخلي وان هناك كثيرا من الناس تغلب عليهم حيوانيتهم ، ولكن ما اخطا فكرة ماركس القائلة بان الانسان الداخلي لا يؤثر في الحيوان الخارجي تاثيرا فعالا ، وما اخطا دراسته لتاريخ الحضارة الانسانية حتى انه لا يراها مبنية الا على ايدي اولئك الذين كانت انسانيتهم تابعة لحيوانيتهم ، مع انه لو كان نظر بعين حرة ، لوجد ان كل ما هو ثمين وصالح وجدير بالتقدير والاحترام من عناصر المدنية الانسانية ، انما هو منحة من اولئك

الذين جعلوا حيوانيتهم تابعة لانسانيتهم واثروا بشخصيتهم القوية في اغلبية ساحقة من افراد البشر المتصفين بالصفات الحيوانية فادخلوا في حياتهم مبادىء دائمة للحضارة والتهذيب والشرف والاخلاق والروحانية والعدل والانصاف .

ولو ان هيجل وماركس قرآ القرآن ، لما لقيا في فهم حقيقة الانسان وادراك القانون الاساسي لارتقاء المدنية الانسانية من الفشل والحيرة مثل ما لقيا بظنهما وتخمينهما ، لان علم الانسان وفلسفة التاريخ الموجودين في القرآن يحلان باحسن طريق واقومه جميع تلك المسائل والمشاكل التي قد ارتبكا فيها مع امثالهما من مفكري الغرب وفلاسفته .

وبموجب بيان القرآن ليس الانسان بمجرد عبارة عن الوجود الحيواني الذي هو محل الجوع والشهوة والطمع والخوف والغضب وما اليها ، وانما هو عبارة عن ذلك الوجود المعنوي الذي يعيش في داخل الغلاف الحيواني وهو محل الاحكام الاخلاقية وما هو — كالحيوانات الاخرى — مجرد عبد للجبلة ، وانما اوتي قوى مختلفة من العقل والتمييز واكتساب العلم والرأي والفكر ، وهكذا اوتي الاستقلال الى حد ما . ان الطبيعة لا تسيره كالحيوانات الاخرى على طريق معين ولا تتكفل له بجميع حاجاته بنفسها ، وانما قد اعطاه الله قوة السعي والجهد وتركه في الدنيا بحيث لا ينال كل ما ينال الا بسعيه ولا يختار الجهة او الطريق لبذل سعيه وجهده الا على مشيئته فيتقدم على طريقه المختار الى حيث يستطيع . فالروح الحاملة لهذا الاستقلال ، الحائزة لقوة السعي والجهد ، هي المختارة لجهة هذا السعي والجهد على مشيئتها وارادتها ، هي الانسان في نظر القرآن .

اما الحيوان الخارجي ، فانما اعطي الانسان الداخلي ليستعبده ويستذله لخدمته . وهذا الخادم انما هو جاهل ليس عنده الا الاهواء ، وشهوات النفس ومطالب الجسد وما نصب عينه الا ان يحصل على رغباته ويحقق حاجاته ، فهو بدلا من ان يخدم الانسان الداخلي ، يريد ان يطغى عليه ويستخدمه ويكرهه على ان يكون مجرد آلة لتحقيق مطالبه ورغباته الحيوانية ويجعل فكره الى تحت بدلا من ان يرتفع الى فوق ، ويجعله ضيق النظر ويبذل السعي ليجعله يعبد المحسوسات ويربي في نفسه العصبيات الجاهلية.

وعلى العكس من هذا فان الانسان الداخلي تستدعيه فطرته ان يسخر لنفسه الحيوان الخارجي ، وقد الهمه الله علم الفجور والتقوى واعطاه الكفاءة للتمييز بين طرق الخير والشر (وهديناه النجدين) وجعل فيه حسا خلقيا يستدعيه من الداخل ان لا يحقق حتى حاجاته الحيوانية الا بطريق يناسب انسانيته لا كما تحققها الحيوانات ولذا فانه بنفسه يستحيي ان يميل الى الطرق الحيوانية ويترفع بنفسه عن المقاصد الحيوانية ويريد دائما ان يكون وجودا من الدرجة العليا ، ويوجد — بسائق وجدانه — الطلب لان تكون حياته لغاية عليا ومقصد انساني كبير .

وعلى هذا ليست الحياة الانسانية من اولها الى آخرها الا ساحة للحرب القائمة بين الانسان الداخلي والحيوان الخارجي، فالحيوان الخارجي يجر الانسان الداخلي الى الاسفل وبعد ان يجعله تابعا لنفسه يشق لسلوكه طرقا معوجة فيها الظلم والعدوان والفحشاء والمنكر والاثم والبغي واتباع شهوات النفس ولذائذها والاخلال بالروابط الانسانية . اما الانسان الداخلي فلا يرضى لنفسه بهذا اللون من الذل فيخرج على الحيوان الخارجي الا انه اثناء محاولته لتسخير الحيوان الخارجي واستذلاله قد يميل الى طرق معوجة اخرى فيها الرهبانية والرغبة عن الدنيا واضطهاد النفس والانحراف عن الحاجات الفطرية والفرار عن تبعات الحياة الاجتماعية ، فهناك يتمرد عليه الحيوان الخارجي مرة اخرى ويجره الى طرقه المعوجة .

فهاتان القوتان للافراط والتفريط تثور كل واحدة منهما على الاخرى مرة بعد اخرى وبتأثير كل واحدة منهما في الاخرى ينشأ في الدنيا من النظريات والمبادىء والمناهج العملية ما يحوز في نفسه عناصر للحق وعناصر للباطل ، والانسان يجرب هذه المبادىء والنظريات والمناهج العملية الى مدة من الزمان واخيرا فان فطرته الحقيقية التي تحن دائما الى الصراط المستقيم ، ترغب عن الطرق المعوجة وتبدي عليها سخطها وتنبذ ما فيها من العناصر الباطلة حتى لا يبقى منها في الحياة الانسانية الا الحق والصدق ، (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) ، ولكن ما ان تفشل مجموعة للافراط والتفريط حتى تاتي الى الميدان مجموعة اخرى وتستعر الحرب مرة اخرى بين الافراط والتفريط — كما هما في هذه المجموعة الجديدة — الى مدة من

الزمان ، ثم ترد الفطرة الانسانية هذه المجموعة ايضا لنفس تلك الاسباب التي كانت لاجلها ردت المجموعة السابقة للحق والباطل من قبل .

فهكذا ان ارتقاء الحضارة الانسانية اثناء التاريخ انما يظهر بصورة خط منحن يلتقي مع الخط المستقيم ويقطعه مرة بعد مرة على حسب ما هو ظاهر بالرسم الآتي :



ففي هذا الرسم الخط ا **ب** هو الطريق الفطري للحياة الانسانية ، الذي يعبر عنه القرآن بكلمات الصراط المستقيم والرشد والهدى وسواء السبيل وسبيل الرب وما اليها . لقد كانت الانسانية على فطرتها في بدء الامر (كان الناس امة واحدة) ثم ظهرت في الناس ميول الى تعدي حدودهم المشروعة فهذه الميول ما زالت تحيد بالانسان بعيدا عن الصراط المستقيم الفطري مرة بعد اخرى ، ولكن في كل مرة نرى ان مرارة التجارب وقلق الفطرة الانسانية ما زالا يجبرانه على الرجوع الى طريق الفطرة ولكن الانسان ما كان يرجع الى طريق الفطرة الا ليبتعد عنه مرة اخرى الى الجهة المعاكسة للجهة الاولى ثم يجد نفسه مرة اخرى مضطرا الى الرجوع الى طريق الفطرة .

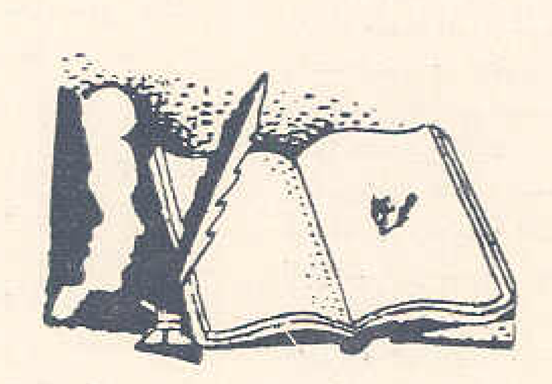
فالذي يعبر عنه هيجل بالدعوى وجوابها ، هي الميول المتطرفة التي تجر الانسان الى هذا الجانب من الخط المستقيم مرة والى الجانب المعاكس له مرة اخرى وان الذي يعبر عنه بالتركيب والمزج ، انما هو النقط التي يلتقي عليها الخط المنحني مع الخط المستقيم ويقطعه .

ان هيجل وماركس وجدا في التاريخ هذا الخط المستقيم ، ولكنهما ما استطاعا ان ينظرا ذلك الخط المستقيم الذي هو مرسوم من الازل الى الابد والذي تتقاضاه فطرة الانسان من داخله ، وان وجوده في داخل هذه الطرق المعوجة حقيقة يشهد بها قلب كل انسان متفكر وهو مفطور على القلق للبحث عنه .

والانبياء عليهم السلام هم اولئك الذين كانوا يعرفون هذا الصراط المستقيم ، فقد دعوا الناس ، الى هذا الصراط الوسط واقاموا عليه المدنية الانسانية فعلا .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

باكستان : ابو الاعلي المودودي



الحضارة الغربية كما يراها محمد إقبال

للأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوي

قد بدا الشباب الاسلامي الذكي فى فجر القرن العشرين يتوسعون فى الدراسات الغربية، ويتعمقون فيها، فى الجامعات الهندية الراقية ، وقد زالت عنهم دهشة الفتح ، وهيبة الانجليز ، وبدات بعثات ثقافية ترحل الى اوربا ، ويقيم عدد كبير منهم فى عواصمها اقامة طويلة ينهلون من مناهلها الثقافية ، ويدرسون العلوم العصرية بدقة واتقان ، تحت اشراف اساتذة كبار احرار ، ويعرفون الحضارة الغربية عن كثب ، بل يخوضون فيها ويسبرون غورها ، ويعجمون عودها كأي شاب غربي مثقف من ابناء البلد ، ويدرسون الفلسفات والنظم والمدارس الفكرية ، ويطلعون على دخائلها واسرارها وعلى الطبيعة الغربية المادية ، والنخوة القومية الاوربية ، والاثرة الشعبية فى نفوس هذه الشعوب، ويرون جوانب الضعف ، وبوادر الافلاس ، وطلائع الانهيار فى المجتمع الغربي ، ويلاحظون العناصر المفقودة الصالحة البناءة ، المعدة للبشرية فى تركيب هذه الحضارة ، وفى طبيعة زعمائها وحملة لوائها وعناصر الفساد الهدامة المدمرة للمدنية، المضللة للبشرية الموجودة فى عجينتها المركبة مع طينتها من اليوم الاول، فيثير كل ذلك فى نفوسهم وعقولهم معاني واحاسيس لم تكن ممكنة الا مع الاقامة الطويلة فى اوربا ، والتعمق فى فلسفاتها وافكارها ، والدراسة المقارنة ، والا مع النظر العميق الجرىء ، والتحرر من ربقة التقليد ، والا مع الايمان الذي لم يتجردوا عنه بل بقي جمرة فى رماد ، مستعدة للالتهاب فى كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائسا من مستقبل الحضارة الغربية ، ثائرا عليها ، ناقدا نقدا جريئا عميقا متزنا لا تطرف فيه ولا انكار للواقع ، ولا مكابرة فى الحقائق .

لقد كان فى مقدمة هؤلاء الناقدين الثائرين محمد اقبال (※) الذي يعتبر بحق انبغ عقل انتجته الثقافة الجديدة ، التي ظلت تشتغل وتنتج فى العالم الاسلامي من قرن كامل ، واعمق مفكر اوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ، ولم نر من توابغ الشرق واذكيائه على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك — احدا نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق ، وانتقدها هذا الانتقاد الجرىء .

ان محمد اقبال قد لاحظ جوانب الضعف الاساسية فى هذه الحضارة وتركيبها ، والفساد الذي

※) ولد محمد اقبال فى سيالكوت (باكستان) سنة 1877م ، وانضم الى كلية الحقوق فى لاهور ، واخذ درجة ماجستر فى الفلسفة بامتياز وسافر الى لندن سنة 1905 حيث التحق بجامعة كمبردج واخذ شهادة عالية فى الفلسفة وعلم الاقتصاد وسافر الى المانيا واخذ من جامعة ميونخ الدكتوراه فى الفلسفة ثم رجع الى لندن وحضر الامتحان النهائي فى الحقوق ، وانتسب الى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة فى لندن وتخصص فى المادتين والقى عدة محاضرات فى مدارس الهند وفى جامعة كمبردج (انكلترا) وقد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون وعلماء الفلسفة اعتناء عظيما وترجم اكثر كتبه الى الانجليزية والفرنسية والالمانية والطليانية والروسية واقامت له جمعية ارسطو وجامعة روما وجامعة السوربون وجامعة مجريط والمجمع الملكي فى روما حفلات تكريم ، وهو الذي عرض فكرة باكستان لاول مرة فى سنة 1930م توفى فى 21 من ابريل سنة 1938م ، له سبعة دواوين بالفارسية ، وثلاثة بالاردو ، ومحاضرات وبحوث فى الانجليزية .

عجنت به طينتها لاتجاهها المادي ، وثورة اصحابها على الديانات والقيم الخلقية والروحية عند نهضتنا ، وعلل فساد القلب والفكر الذي اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة (*) وقد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر ، والفكر السامي ، والذوق السليم ، وتسلط عليها – رغم المدنية الباذخة والحكومات الواسعة ، والتجارة الرابحة – القلق الدائم ، لقد اظلم الجو في عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ولكن بيئتها – على كثرة انوارها – غير متهيأة لفتح جديد في الفكر واشراق من عالم الغيب ، انها حضارة شابة – بحداثة سنها والحيوية الكامنة فيها – ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت ، وان لم تمت حتف انفها فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها ، ولا غرابة في ذلك فان كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، ولا يستغرب ان يرث تراثها الديني ويدير كنائسها اليهود (*) ، ان اساس هذه الحضارة ضعيف منهار، وجدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة(*) وان نورها باهر وشعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، ولكن لم يكن في ربوعها من يمثل دور موسى فيتلقى الالهام ويتشرف بالكلام ، ولا من يمثل دور ابراهيم فيحطم الاصنام ويحول النار الى برد وسلام (*) ان عقلها الجريء يغير على ثروة الحب وينمو على حساب العاطفة (*) ان عمالقتها وثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون – حتى في ابتكارهم وينمو على حساب العاطفة (*) ان عمالقتها وثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون – حتى في ابتكارهم وثورتهم – عن الطريق المرسوم والدائرة المحدودة .

لقد تضخم العلم وتقدمت الصناعة في اوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، ان ابنية مصارفها تفوق ابنية الكنائس في جمال البناء وحسن المنظر ، ان تجارتها قمار يربح فيه واحد ويخسر فيه ملايين ، ان هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح به اوربا ليست الا مظاهر جوفاء ليست وراءها حقيقة ، ان قادتها يمتصون دماء الشعوب ، ويلقون درس المساواة الانسانية ، والعدالة الاجتماعية ، ان البطالة والعرى وشرب الخمر والفقر هي فتوح المدنية الافرنجية ، ان الامة التي لا نصيب لها من التوجيه السماوي والتنزيل الالهي غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار ، ان المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعة ، تموت فيها القلوب ، ويقتل فيها الحنان والوفاء ، والمعاني الانسانية الكريمة (*) .

وقد كان انتقاده واستعراضه للحضارة الغربية واسسها ومناهج تفكيرها في محاضراته العلمية التي القاها في مدارس ونشرت بعنوان (تجديد الفكر الديني في الاسلام (*) اعمق واكثر تركيزا بطبيعة الحال ، لان جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر والادب ، فقال وهو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية في الغرب والانسان المعاصر الذي يمثلها ويتزعمها وعن الازمة والمشكلات التي يعانيها :

« الرجل العصري بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمي يجد نفسه في ورطة ، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق اليه ، لكنه قد سلبه ايمانه في مصيره هو » (*) .

(الانسان العصري وقد اعشاه نشاطه العقلي كف عن توجيه روحه الى الحياة الروحانية الكاملة اي الى حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس ، وهو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه ، وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع غيره ، وهو يجد نفسه غير قادر على كبح اثرته الجارفة ، وحبه للمال حبا طاغيا يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئا فشيئا ، ولا يعود عليه منه الا تعب الحياة ، وقد استغرق في «الواقع» اي في مصدر الحس الظاهر للعيان ، فاصبح مقطوع الصلات باعماق

(*) ضرب كليم ، ص 69 .
(*) ضرب كليم ص 14 يشير الى نفوذهم الزائد وثقة اوربا النصرانية بهم .
(*) بال جبريل .
(*) بيام مشرق ص 248 يعني ان اوربا لم تكن ارض النبوءة والانبياء من الزمن القديم ، ولم يكن فيها اشراق روحاني وانما ازدهرت فيها الماديات .
(*) ايضا .
(*) بال جبريل .
(*) المصدر المذكور ترجمة عباس محمود ص 214 .

وجوده ، تلك الاعماق التي لم يسبر غورها بعد ، واخف الاضرار التي اعقبت فلسفته المادية هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه ، والذي ادركه هكسلي واعلن سخطه عليه) (*) .

(والاشتراكية الملحدة الحديثة ـ ولها كل ما للدين الجديد من حمية وحرارة ـ لها نظرة اوسع افقا، لكنها وقد استمدت اساسها الفلسفي من المتطرفين من اصحاب مذهب هيجل وقد اعلنت العصيان على ذات المصدر الذي كان يمكن ان يمدها بالقوة والهدف ، وهي « اذن ليست » بقادرة على ان تشفي علل الانسانية (*)) .

ومحمد اقبال يصف هذا المجتمع ـ الاوربي ـ بمجتمع يحركه تنافس وحشي ، وهذه الحضارة بحضارة فقدت وحدتها الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية والقيم السياسية (*) .

وينظر محمد اقبال ـ ككل مطلع خبير ـ الى الراسمالية والشيوعية كفرعين من دوحة المادية واسرتين للحضارة الغربية ، احداهما شرقية والاخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادي والتفكير المادي والنظر المحدود الى الانسان ، ويقول بلسان السيد جمال الدين الافغاني ـ في رحلة فكرية تخيلها واجتمع به فيها ـ ان الغربيين فقدوا القيم الروحية والحقائق الغيبية ، وذهبوا يبحثون عن الروح في « المعدة » ان الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم ، ولكن الشيوعية لا شان لها الا « بالمعدة والبطن » و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، ان الاخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الاجسام والبطون انما تقوم على محبة القلوب والفة النفوس (*) .

ان الراسمالية والشيوعية تلتقيان على الشره والنهامة والقلق والسآمة ، والجهل بالله ، والخداع للانسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج » وعند الراسمالية « خراج » والانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج ، ان الشيوعية تقضي على العلم والدين والفن ، والراسمالية تنزع الروح عن اجسام الاحياء ، وتسلب القوت من ايدي العاملين والفقراء ، لقد رايت كلتيهما غارقتين في المادة ، جسمهما قوي ناضر ، وقلبهما مظلم فاجر (*) .

ويعتقد محمد اقبال ان هذه الحضارة غير قادرة على اسعاد البلاد الاسلامية ، واعادة الحياة اليهما ، ويقول : (ان الحضارة التي قد اشرفت على الموت لا تستطيع ان تحيي غيرها (*) ، وقد جزت من احسان هذه البلاد الشرقية اساءة من جانبها ، وكافات خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبيا رسالته العفة والمواساة والرحمة ، ومقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو ، وقد منحته اوربا ـ بدورها ومقابل ذلك ـ الخمر والقمار والفجور، وهجوم المؤسسات)(*)

انه يسيء الظن بدعاة التجديد ـ وبالاصح التغريب ـ في الاقطار الاسلامية ، ويخشى أن تكون الدعوة الى التجديد حيلة وستارا لتقليد الافرنج (*) ويقول (اني يائس من زعماء التجديد في الشرق فقد حضروا في نادي الشرق باكواب فارغة ، وبضاعة مزجاة في العلم والفكر) .

(ان البحث عن « برق جديد » في هذا السحاب عبث واضاعة وقت فقد تجرد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم ، فضلا عن البرق الجديد) (*).

(*) ايضا ص 215-216 .
(*) المصدر السابق 216-217 .
(*) المصدر السابق ص 217 .
(*) جاويد نامه ماخوذ من « روائع اقبال » للمؤلف ص 113-114 .
(*) جاويد نامه ص 113-114 .
(*) ضرب كليم ص 68 .
(*) يشير الى سيدنا عيسى عليه السلام .
(*) ضرب كليم ص 150 .
(*) ضرب كليم ص 170 .
(*) ايضا ص 69 يشير الى ان هؤلاء المصلحين ثقافتهم القديمة وثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ليس لهم في احداهما كعب عال ولا باع طويل .

انه يعارض التقليد الاعمى فى امة من الامم ، ولا سيما الامة التي خلقت لقيادة الامم واحداث الثورة فى العالم ، ويقول : (ان الذي ياتي بالجديد فى هذا العالم الذي يتجدد دائما هو نقطة الدائرة التي يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك ـ ايها المسلم ـ بالتقليد الاعمى ، واحتفظ بكرامتك فانها الجوهر الفرد، ان التجديد (بمعنى التقريب) لا يليق الا بامة لا تفكر الا فى الترف والدعة) (*) .

انه يعاتب الامم الشرقية الاسلامية التي كان دورها دور التوجيه والقيادة واصبحت تمثل دور التلميذة الخاشعة ، والتقليد الذليل ، يقول ـ وكأنه يشير الى الشعب التركي الاسلامي ومن كان على شاكلته ـ ان اولئك الذين كانوا يستطيعون ان يقودوا عصرهم اصبحوا بسخافتهم يقلدونه ويمشون وراءه.

انه شديد الايمان بما تضمره الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية من حيوية خالدة ، وقوة دافقة ، وامكانيات واسعة ، لتكوين عالم جديد ، وتأسيس مجتمع جديد ، يقول فى خطبته التي القاها

(*) ضرب كليم ص 170 .

رئيسا لمؤتمر الاحزاب الاسلامية فى دهلي سنة 1933 م مخاطبا للمسلمين :

(ان **الدين الذي تحملون رايته يقرر قيمة الفرد ويربيه تربية** تجعله يبذل كل ما عنده فى سبيل الله

وفى صالح عباده ، ان مضمرات هذا الدين القيم وكوامنه لم تنته بعد ، ان فى استطاعته ان يوجد عالما جديدا ، يجبي فيه الفقراء الاغنياء ، عالما لا يقوم فيه المجتمع البشري على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة الارواح) .

ولذلك كان يعتقد ـ بكل اخلاص وحماسة ـ انه لابد من وجود رقعة حرة ، تقوم فيها عملية الحياة الاسلامية بجميع نواحيها وشعبها ، وتتجلى فيها عبقرية الشريعة الاسلامية ، وعدل النظام الاسلامي، وتستطيع فيها الطريقة الاسلامية فى الحياة ان تعبر عن نفسها تعبيرا عمليا وثقافيا .

لكنهو ، الهند ـ ابو الحسن علي الحسيني الندوي



مسؤولية الفرد في الإسلام

للشيخ: حسن خالد

ان الاسلام دين شرعه الله واختاره ليكون دستورا للعالمين . يقول تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » ، فهو لذلك دين مثالي فى تنظيماته كافة ، لن تجد له مثيلا فى تناسق تشريعاته ، وانسجام تعاليمه ، وتساندها جميعا لخدمة الهدف العظيم الذي وضعت له . فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كالتدب الى اكرام الضيف ، والبشاشة فى وجوه الاخوان ، واماطة الاذى عن الطريق ، والامر بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، هذه الامور وغيرها تعاليم متساندة – على تفاوت مقاماتها عند الله – فى خدمة الغاية الجليلة التي من اجلها بعث الله الرسل ، وانزل معهم الكتب .

والفرق بين الاسلام وبقية الملل والاديان ، انه دين جعل نصب عينيه ان يوجد الامة الموحدة الجهات ، الموثقة العرى ، المتكافلة على الشر ، المتكافلة للخير ، ليتوصل من ذلك الى تامين اكبر قسط من السعادة والطمانينة للبشرية .

ولذلك فان الاسلام ينظر الى اتباعه نظرة واحدة من حيث وجوب تحملهم المسؤولية ، لخدمة الفكرة الاسلامية التي هي ايجاد المجتمع السليم من الآفات على اختلافها ، وتامين السعادة الى ابعد قدر من مقدرات الامكانية الانسانية . ومن هذا المعين برز الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « من اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

وعلى ضوء تلك الفكرة وهذا الحديث ، نستطيع ان نقول ان المسؤول عن المصلحة العامة فى الاسلام ليس هو الزعيم كزعيم فقط ، وليس هو المجتمع كمجموعة موحدة فحسب ، وليس هم رؤساء المراكز الهامة فى الدولة ، كالولاة والقضاة ، ومدراء الشرطة وقادة الجيوش وغيرهم ، بل ان الفرد ، كذات له كيانه واثره فى المجتمع ، يصح ان يعتبر مسؤولا بالنسبة للمصلحة العامة ، بل مسؤولا خطيرا وخطيرا جدا ، بالنسبة لهذه المصلحة . اذ منه يتخرج الزعماء والقادة ، والقضاة والولاة وغيرهم ، بل منه يتكون المجتمع الذي هو فى الحقيقة ليس الا فردا مضافا الى فرد . .

ولكن العجيب فى امر هذا الدين ، دين الاسلام العظيم ، انه جعل عنايته التشريعية من الدقة والانسجام بمثل ما هو عليه وضع الفرد كفرد ، وكعضو مندمج فى جماعة . ولذلك كانت نظمه الاجتماعية سليمة من اي عيب ، خالية من اي نقص ، موسومة بالكمال .

فالفرد فى نظر الاسلام هو فى المجتمع الاسلامي جزء من كل يكمله ، ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ، ويحميه ويحتمي به ، ولا نستطيع مطلقا ان نجد فى التشريع الاسلامي انفصالا بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ، ومسؤولية المجتمع نحو الفرد ، لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام فى الاصلاح العام ، وفى التكافل الاجتماعي الواسع النطاق . وقد اكد الاسلام معانيهما فى نفس الفرد بوجه عام كما ثبتها فى نفسية الجماعة وارساها فى ضميرها فقال للفرد :

« انت على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك ». وقال للجماعة : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » ، « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » . وضرب مثلا رائعا لوصاية الجماعة على الفرد ومسؤوليتها ازاء جناياته واخطائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفاس فقالوا له : « ما تصنع ؟ » قال : « هو مكاني اصنع فيه ما اشاء . فان اخذوا على يده نجا ونجوا معه وان تركوه هلك وهلكوا » . كما ضرب مثلا رائعا عن مسؤولية الفرد تجاه الجماعة يوم قام ابو بكر في خطبة من خطبه وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : « ايها الناس انكم تقراون هذه الآية : **يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** ، وانكم تضعونها على غير موضعها ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك الله ان يعمهم بعقابه » .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامير راع ، والرجل راع على اهل بيته ، والمراة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . فهذا الحديث وان لم يكن في ظاهر عبارته قد نص على وجود المسؤولية على الفرد تجاه المجموع البشري الذي يكتنفه بالشكل الصريح المباشر ، غير انه قد قرر مبدأ المسؤولية على الفرد لقاء ما يحوطه من الناس : كثيرين كانوا او قليلين ، بشكل يتكافأ مع ظرفه ، ومهمته الموكولة اليه ، وكفاءاته التي يمتاز بها .

وهذه المسؤولية التي قررها الاسلام على الفرد تكون تارة مسؤولية شخصية يرجع اثرها عليه لا على غيره من ابناء نوعه ، كالسعي والعمل في كسب المال وطلب العلم ، وطورا تكون مسؤولية اجتماعية يتصل اثرها بمن حوله من ابناء جنسه، وذلك كالتعاون وبذل المساعدة للآخرين المشاركين له في المجتمع .

فمسؤولية الفرد اذن تتشعب الى شعبتين : مسؤولية تجاه نفسه واخرى تجاه مجتمعه . ويمكن القول بأن مسؤولية الفرد نحو نفسه قد تتسع بحيث تصبح مسؤولية نحو مجتمعه ، كما ان مسؤوليته نحو المجتمع قد تضيق بحيث تكون ايضا مسؤولية نحو شخصه بالذات . فطلب العلم وان كان الفرد مسؤولا عنه لنفسه لما وراءه من مصلحة شخصية ، الا انه ايضا مسؤول عنه تجاه مجتمعه لان من مصلحة هذا المجتمع ان يكون الفرد فيه متعلما لا جاهلا . والتعاون مع المجتمع وان كان الفرد مسؤولا عنه اجتماعيا ، الا انه ايضا مسؤول عنه لنفسه بالذات لما يترتب على تعاونه مع ابناء مجتمعه من حمل ابناء مجتمعه ايضا على التعاون معه .

مسؤولية الفرد الشخصية : ان الله تعالى قد كرم الانسان ورفع قدره على جميع انواع الخلق : «**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**». وكان من مقتضى هذا التكريم ان وهبه العقل الذي جعله فيه مناطا للتكليف بالاوامر والنواهي والحدود . ولقد تحمل الانسان مهمته وتقبل المسؤولية فقال تعالى في ذلك : « **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ..** » وكان من اوائل مظاهر المسؤولية الشخصية مسؤولية الفرد عن نفسه وبدنه . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «نفسك مطيتك فارفق بها » . وفيه يوجب الاسلام على الفرد الرفق بنفسه بحيث لا يحملها ما لا تطيق ، ويعالجها بالراحة والدواء اذا ما اصابها ضيق او نزل بها مرض ، وذلك ليتمكن من الوصول الى اغراضه ومصالحه . وفي هذا المعنى ورد ايضا عنه صلى الله عليه وسلم « ان لبدنك عليك حقا » . فعلى الفرد توفير الطعام لنفسه ، والشراب والمسكن والملبس، وعليه ايضا ان لا ينهك بدنه بالعمل فوق الطاقة والسهر المضني ، وان لا يزجه في مسالك الضنك والهلاك ، وان يحافظ عليه بحيث يبقى قويا صحيحا ، سليما من العيوب والآفات .

ولتاكيد هذا المعنى في نفس الفرد المسلم جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم ، حتى تكونوا شامة في الناس » . وكما ان الفرد مسؤول عن بدنه ، فهو مسؤول ايضا عن عقله وفكره . ولذلك وجب عليه ان لا يضيع نشاطهما ويبعثر جهودهما ، ويجعلهما في غير ما ينفعه وينفع الناس او يصلحه ويصلحهم . فهذا الكون قائم بين يديه ، يدله اختلاف مظاهره ودقة صنعه ، وما فيه من جمال وروعة وسعة ، على عظمة الخالق ،

وحكمة الصانع ، وقدرة المصور ، فلا يصح ان يمر عليها جميعها مر الغافل المغمور ، الذي لا يشغل بها فكره ، ويستنتج منها ما يزيده ايمانا بالله ، واجلالا له ، وذلا بين يديه ، وتسليما لاوامره ، وانقيادا لتوجيهاته . قال تعالى : ((**افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟**)) وقال : ((**فاعتبروا يا أولي الابصار**)) وقال : ((**انما يتذكر اولوا الالباب**)) .

والعقل كالجسد ، فاذا كان الاخير يتضرر بالمطاعم والمشارب الفاسدة ، فكذلك العقل يتضرر بالآراء الزائفة والافكار الالحادية الطائشة ، ويسوء ايضا بالاتجاهات الادبية الماجنة ، التي تجني عليه أكثر مما تجني له . ولذلك كان على الفرد ان يختار لعقله وفكره ومشاعره احسن الغذاء من الكتب والمجلات والنشرات ، والاحاديث الاذاعية والمحاضرات وكان مسؤولا عن اي انحراف يقع منه ، او شذوذ يصيبه ، وعليه الرجوع به الى الطريق المستقيم ، والجادة التي سار عليها المرسلون ، والذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين . ولذلك فقد شجع الاسلام الفرد المسلم على طلب العلم وحضه عليه فقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وقال تعالى : ((**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟**)) وقال وقال ايضا : ((**وقل رب زدني علما**)) وقال صلى الله عليه وسلم : « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » . وقال صلى الله عليه وسلم مكرما أهل العلم : « اكرموا العلماء فانهم ورثة الانبياء » وقال : « ان مثل العلماء كمثل النجوم يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة » .

والفرد الى جانب ما سبق ، مسؤول عن اخلاقه وعاداته وآدابه . ولذلك فهو مطالب بتخير ما يتحلى به من الآداب ، ودرس ما يختاره من الاخلاق والعادات لانها فى الحقيقة صورته الصادقة التي تعرف به الناس، وتكشف عن جوهره وذاته . فعلى الفرد ان يجمل نفسه بالحياء والصبر والشجاعة ، والكرم والنجدة، وما شابه ذلك من الفضائل ، وان يباعد بينها وبين المجون والجبن ، والحمق والشح وغيرها ، وان يبعث فى نفسه النشاط والحركة وان لا يركن الى الكسل والخمول .. وعلى كل حال عليه ان يحاول دائما كي يكون من نفسه الشخص المثالي فى ءادابه واخلاقه وعاداته ، بحيث يكون قدوة صالحة للناس ، وعنصرا نافعا لمن حوله منهم .

• ✻ •

الى هذا الحد تكون قد تعرفت ايها الاخ الكريم على بعض مسؤولياتك الشخصية ، وتبينت ما يطلب منك نحو ذاتك لتدنو قدر الطاقة من الكمال ، وتبعد ما امكن عن النقص . وبقي ان تتعرف على مسؤوليتك الاجتماعية وساشعبها هنا الى ثلاث مسؤوليات : مسؤولية تجاه اسرتك ، مسؤولية تجاه مجتمعك ، ومسؤولية تجاه دولتك .

مسؤولية الفرد نحو اسرته : من طبيعة الحياة ان الفرد يكون دائما وابدا عضوا فى اسرة ، تضم على الاغلب عددا من الافراد ،تختلف اوصافهم ومقاماتهم . منهم الاب والام والزوج والزوجة والاولاد وما يتفرع عنهم .

وتختلف مسؤولية الفرد تجاه اسرته باختلاف مهمته فيها . فاذا كان عازبا يرغب فى الزواج ، كان عليه ان يحسن اختيار عشيرته ، بحيث تكون من ذوات العقل والدين والتربية الفاضلة ، لانه اذا استكملت المراة هذه الشروط ، انقلب المنزل الذي تشرف عليه فردوسا للرجل ، والمنبت الخصب لذريته . وما اروع قول حافظ ابراهيم فى هذا الموضوع :

الام استاذ الاساتذة الاولى
شغلت مئاثرهم مدى الآفاق

الام روض ان تعهده الحيا
بالري اورق ايما ايراق

فضلا عن ان المراة كانت بذلك لزوجها ملاذا لقلبه ، وملجا له من عواصف الحياة، وبلسما لجراحه. ولذلك فقد امتن بعض حكماء العرب على اولاده بمثل هذا الامر فقال :

واول احساني اليكم تخيري
لماجدة الاعراق باد عفافها

واذا كان زوجا او ابا ، كان عليه ان يشمر عن ساعد الجد ويندفع للعمل والكسب ، واستثمار اتعابه وكفاءاته ، وجمع محاصيلها لوضعها تحت

تصرف افراد اسرته ، لتبذل في مصالحهم ، وتصرف لقضاء حاجاتهم ، فيهناوا ويسعدوا ، ويكون بعد ذلك قدوة صالحة ومثالا يحتذى في قوله ومقاله وسلوكه فيحسن معاملة اهله وعياله ، ويرفق بهم ، ويتجنب الغلظة عليهم ، ويقدم لهم دائما ما يسرهم . قال صلى الله عليه وسلم : « خير الرجال من امتي الذين لا يتطاولون على اهليهم ، ويحسنون اليهم ، ولا يظلمونهم » ، وقال ايضا : « مشيك الى المسجد ، وانصرافك الى اهلك في الاجر سواء » .

واذا كانت زوجة فعليها ان تتفرغ لما خلقت له اصالة : من ادارة البيت ، واحسان ترتيبه وفرشه ، واتقان مظهره وتنظيفه ، واختيار الاطعمة النافعة والشهية للاسرة ، وتهيئة كافة الاجواء التي تدخل على افرادها السرور ، والقيام بواجباتها نحو زوجها واولادها على الشكل اللائق، ونحو زوجها بالذات من طاعته فيما لا معصية فيه ، واستشارته فيما تريد اجراءه من الاعمال والترتيبات المنزلية الهامة ، وان تختار في محادثته ارق الالفاظ واجمل التعبيرات ، وان لا تسمح للامور التافهة ان تدفعها احيانا لتعكير صفو حياة الاسرة وتكدير رائق عيشها ، ثم نحو اولادها بان تكون حدوبة عليهم ، رحيمة بهم ، شديدة الغيرة على مصالحهم ، حازمة في الاشراف عليهم وتوجيههم ..

هذا فيما يتعلق بمسؤولية كل من الزوجين تجاه الآخر وتجاه الاسرة بوجه عام . أما مسؤوليتهما تجاه أودهما من الوجهة التربوية والتعليمية ، وهما وجهتان هامتان في حياة الافراد وعلى الخصوص في حياة الناشئة ، فقد حتم الاسلام على الابوين تزويد الاولاد بخير العلم وافضل التربية . قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة »** . وقال صلى الله عليه وسلم : « اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم ، فان اولادكم هدية الله اليكم » . وقال ايضا : حق الولد على الوالد ان يعلمه السباحة والرماية ، وان لا يرزقه الا حلالا طيبا » . ذلك لما كانت هذه الامور هي اهم ما يلقى على عاتق الرجال . اما اليوم فقد تغيرت الظروف ، وتبدلت معالم الحياة كما تبدلت العلوم واتسعت ، لذلك فان على الآباء والامهات اعداد اولادهم اعدادا كاملا للحياة التي يقبلون عليها ، وتزويدهم بكافة العلوم والثقافات والآداب التي يرون أن حياتهم مفتقرة اليها ، اذا لم يكن فيها ما يتنافى مع الدين ، او يتضارب مع المصلحة العامة ،

ويرى الشارع ان عمل الوالدين في هذا الحقل عمل تعبدي ينتهي بهما الى رضوان الله ، ثم النعيم المقيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة قعدت على بيت اولادها فهي معي في الجنة.. »

واما مسؤولية الابناء نحو الآباء والامهات ، فهي متنوعة ولا تكاد تقل في شيء من ناحية الاهمية عن مسؤولية الآباء نحو ابنائهم .. فقد جعل الاسلام من اعظم الكبائر عقوق الوالدين ، وجعل الاحسان اليهما واجبا على المرء في الدرجة الثانية بعد الايمان بالله ، وجعل رضاه تعالى من رضاهما ، وسخطه من سخطهما، فضلا عن انه نهى عن الاساءة الى الابوين ولو كانت ابسط الاساءات واتفهها ، فقال تعالى : **« ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا .. »**

مسؤولية الفرد نحو المجتمع : ولم يشأ الاسلام أن يجعل مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه محصورة بمجتمعه المسلم ، بل جعلها مسؤولية موسعة بحيث تتوجه نحو جميع افراد المجتمع الواحد ، من اية ملة او فئة كانوا ، لا فرق بين المسلم وغير المسلم . ذلك لان فلسفة الاسلام الاجتماعية تهدف الى اقامة المجتمع السعيد ، وتوفير اسباب الهناءة والطمأنينة لجميع الناس على السواء ، فلا يصح من الناحية المنهجية ان يقال ان الاسلام يدعو الى تحسين العلاقات بين المسلم والمسلم فقط ، ويجعل المسلم مسؤولا عن مصلحة اخوانه في الدين فحسب .

ويؤيد هذا ما ذهب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعريف المسلم بقوله : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » ، اذ جعل مسؤولية الفرد المسلم منعكسة على جميع افراد المجتمع ، قاطعا النظر عن عقائدهم والوانهم واتجاهاتهم . على انه يجب أن يكون حاضرا في الذهن ، أن تحمل المسؤولية تجاه الاخرين من ابناء المجتمع كاحسان معاملتهم مثلا ، ومنع الاذى عنهم ، وبذل الخير لهم ، ليس معناه الخنوع والذل والتنازل عن الحقوق المشروعة ، لان فيه اضاعة لغايات الشرائع وافسادا للمجتمع نفسه.

والاسلام كدين اجتماعي من الطراز الاول ، اذا كان قد فرض الفرائض من صلاة وزكاة ، وصوم وحج ، فانما فرضها لتكون عاملا طيبا في تزكية النفس البشرية ، واحياء الضمير الانساني ، اللذين

بهما يجد المجتمع ما يتطلع اليه من امن وسلام وتعاون مثمر .

وعلى ضوء هذه النزعة الاجتماعية في الاسلام ، كان من اهم اصوله نظرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى جعلها رب العزة في الدرجة الثانية بعد الايمان فقال : **« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** . وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » . وقال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، او ليسلطن الله عليكم بذنوبكم من لا يخافكم ولا يرحمكم » . والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصاية من الفرد على المجتمع ، ومسؤولية واضحة المعالم ، بها يتأكد لدى الفرد ان المجتمع منه وهو بعضه ، وان هذه البعضية من كل من الطرفين تجاه الآخر ، تحمله على ان ينظر على أنه كيان هام بالنسبة اليه ، لا يفرط بمصالحه ، ولا يتأخر ببذل وسعه في سبيل راحته ومصلحته وسعادته .

مسؤولية الفرد تجاه الدولة : وكما يجب ان يكون الفرد عنصرا منتجا بالنسبة للمجتمع، ينبغي ان يكون بالنسبة للدولة التي تحميه، وتصون مصالحه واغراضه وحاجاته ، والتي انبثقت عنه وبرضاه ، فلا يجوز مطلقا ان يستبيح اموالها بغير حق ولا شرعة ، كما لا يجوز البتة ان يهدر مصالحها واموالها ومراكز ادارتها ، ولا ان يسمح لاحد بذلك ، ولو كلفه ماله كله وحياته ان اقتضى الامر . فاذا كان الفرد واليا او اميرا عاما او مسؤولا عن بعض الشؤون ، فما اشد ما حمله الاسلام من مسؤولية تجاه المجتمع ومصالحه . فقد ورد في تحميل الامير مسؤولية اختيار الاعوان له في الحكم : « ايما رجل استعمل رجلا على عشرة وقد علم ان في العشرة من هو افضل منه فقد غش الله والرسول وجماعة المسلمين » . وورد في وجوب نصيحة الوالي للمسلمين : « ايما وال ولي شيئا من امر امتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه ، كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار » . وقال ايضا : « اوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وبجماعة المسلمين ان يعظم كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر عالمهم ، وان لا يضربهم فيذلهم ، ولا يوحشهم فيكفرهم ، وان لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم » .

وشد ما حذر الاسلام وتخوف من الولاة الظالمين الذين يسلكون بالناس مسالك الضلال ، فان انقادوا اليهم اوردوهم موارد الهلكة ، وان نفروا منهم وابوا متابعتهم ، اعملوا فيهم السيف والظلم . فقال صلى الله عليه وسلم : « لست اخاف على امتي غوغاء تقتلهم ولا عدوا يجتاحهم ، ولكني اخاف عليهم ائمة مضلين ان اطاعوهم فتنوهم وان عصوهم قتلوهم » .

هذا اذا كان الفرد واليا ، فان كان عاديا وجب عليه ان ينصح لدولته وامرائها ، وان يطيعهم فيما لا معصية فيه ولا اثم . قال تعالى : **« يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم »** . وقال صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة » . ولكن الاسلام قد جعل هذه الطاعة غير مطلقة ، بل مشروطة بعدم معصية الله ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « السمع حق على المرء فيما احب او كره ، ما لم يؤمر بمعصية . فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . فاذا آثر الحاكم نفسه وتلاعب بمصالح الامة ، وجب على كل مسلم نصحه ومنعه من التمادي في باطله . اما اذا لم يتيسر للامة ذلك ؛ فالاسلام يأمر بالصبر والتجمع حتى يتأتى الظرف المناسب لابعاده عن مكان الولاية ، وينصح في مثل هذه الامور ان لا يلجأ اولو الامر الى عوام الناس ؛ لما في ذلك من خطر شنيع على مصالح الدولة ، بل ان يعالج اهل الحل والعقد في البلد ، والائمة المخلصين ، والرجال العاملين ، الامر بالحكمة والموعظة الحسنة ، فان تأتى ذلك فيه ، والا وجب عليهم توضيح الحقائق للناس ، ووضع المناهج السليمة للوصول الى الهدف المطلوب .

• * •

والى هنا يغلب على ظني اني استطعت قدر الامكان مع الايجاز المطلوب ، أن أوضح مسؤولية الفرد تجاه المجتمع الذي يعيش فيه ، واظن انه قد وضح جليا لكل ذي بصيرة ، أن كل فرد في اي مجتمع كان، دعامة هامة بالنسبة اليه ، لا يستهان به مطلقا ، بل يجب ان يعتنى به العناية الفائقة ، بحيث يمكنه ذلك من القيام بواجبه على الوجه الاكمل .

وقد نجح الاسلام في تثبيت هذه المسؤولية في نفس الافراد من الصحابة والتابعين ، ومن سبقهم باحسان دهرا مديدا . وكان من آثارها الامثال النادرة في صلاح الامراء والعلماء والرجال العاديين .

اذ كان كل من هؤلاء يشعر بالمسؤولية نحو غيره من ابناء المجتمع الشعور الفعال الذي يتجه به لمجتمع كبير الى ان يكون كالجسد الواحد اذا اشتكى عنه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .. وساكتفي بايراد موقفين عظيمين من مواقف العلماء يبينان مبلغ ما كان السلف يشعرون به من مسؤولية تجاه المجتمع الكبير .

روى التاريخ ان الامام الاوزاعي رضي الله عنه لم يخش من الخليفة العباسي عند ما سأله : « ما ترى فيما صنعت من ازالة اولئك الظلمة (يعني الامويين) عن البلاد والعباد ؟ اجهاد هو ام لا ؟ » فقال له الاوزاعي « انما الاعمال بالنيات » . فضرب الخليفة الارض بخيزرانته ثم رفع راسه وقال : « يا اوزاعي ما تقول في دماء بني امية ؟ » . فاورد له الاوزاعي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فضرب الخليفة الارض بالخيزرانة اشد من الاول ثم قال : « يا أوزاعي ما تقول في اموالهم احلال هي أم حرام ؟ » فقال : « ان كانت في ايديهم حراما فهي حرام عليك ، وان كانت لهم حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعي » .

ومن اروع امثلة الجراة في حمل المسؤولية ضد الباطل ، والخضوع للحق ، ما روي عن العالم الكبير أبي منذر بن سعيد البلوطي والخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله . فقد اقبل الخليفة على بناء «الزهراء» واشرف عليها بنفسه حتى شغله ذلك عن شهود ثلاث جمع متواليات. فاشتد ذلك على القاضي ابي المنذر ، وهو خطيب المسجد ، وراى لزاما عليه ان يخرج نفسه من اثم التقصير فيما اوجب الله على العلماء من الصدع بامر الله والنصيحة للناس . وذات مرة علم ان الخليفة سيشهد الجمعة فاعد خطبة بليغة واعتلى المنبر والخليفة حاضر، والمسجد عامر بالمصلين وابتدا خطبته بقوله تعالى في سورة الشعراء : « اتبنون بكل ريع آية تعبثون ؟ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ؟ واذا بطشتم بطشتم جبارين .. الى قوله تعالى .. قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين .. » ثم مضى وتلا قوله تعالى بعد كلام مسهب بليغ : « افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ؟ » وعلم الخليفة انه المقصود فبكى وندم على تفريطه ، ولكنه مع ذلك غضب لغلظ التقريع الذي وجهه الخطيب اليه فقال لولده بعد خروجه : « والله يا بني ما عنى بهذه الخطبة غيري .. ولقد كاد يقر عني بعصاه » . فقال له ابنه : « فما الذي يمنعك من عزله عن الخطابة والقضاء ؟ » فقال له الخليفة : « ويحك يا بني !! امثل ابن سعيد في فضله وعلمه أعزله لارضاء نفس ناكبة عن الرشد ؟ ! هذا ما لا يكون ابدا .. »

هذا الموقف العظيم من الطرفين في تحمل المسؤولية الشخصية ، والجراة في الحق والخضوع له، غيض من فيض وافر من الاخبار المأثورة عن مبلغ تقدير الاولين لمسؤوليتهم الفردية نحو الآخرين . حتى روي عن عمر بن عبد العزيز ان زوجته جاءته ذات ليلة بعد ان قام ليله واصبح صائما فقالت له : « يا امير المؤمنين لشد ما كان منك ما رايت الليلة ؟ » فقال : « اجل اني قد وجدتني وليت امر هذه الامة اسودها واحمرها ، فذكرت الغريب الضائع والفقير المحتاج ، والاسير المقهور ، فعلمت ان الله تعالى سائلي عنهم ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم فخفت ان لا يثبت لي عند الله عذر ، ولا يقوم لي مع محمد حجة فخفت على نفسي . ثم قالت : والله ان كان عمر ليكون في المكان الذي ينتهي اليه سرور الرجل مع أهله ، فيذكر الشيء من امر الله فيضطرب كما يضطرب العصفور قد وقع في الماء ، ثم يرتفع بكاؤه حتى اطرح اللحاف عني وعنه . ثم يقول والله لوددت لو كان بيننا وبين هذه الامارة بعد ما بين المشرقين .

* * *

ايها القارىء الكريم :

تلك هي مسؤوليتك نحو نفسك واسرتك ومجتمعك ودولتك .. وهذه اماثيل قليلة من تحمل افراد السلف الصالح لمسؤوليتهم الشخصية تجاه البلاد والعباد . وهذه وتلك كافية كما اعتقد لان تحملك على الاقل ان تسهر على كفاءاتك ومؤهلاتك لتفيد منها جميعها مجتمعك الصغير والكبير الفائدة التي لابد منها لتكون عنصرا فعالا وعضوا منتجا خيرا وركنا قويا والله الموفق لما فيه الخير .

الشيخ حسن خالد
قاضي عكا الشرعي
« من عباد الرحمن »

الأثر النفسي للمسجد

للأستاذ : جمال بغدادي القادري

لقد كان للمسجد دور هام في التثقيف التربوي حينما كان المدرسة الاولى التي اعدت المسلم للمجتمع الكبير ، اعدته وهو صغير السن فقدمت له التدريب الاول لتعلم القراءة والكتابة ، وهيأته بعد ذلك لتذوق الادب ، والتضلع في المواد الفلسفية كالمنطق والتوحيد والاحاطة بالعلوم الفقهية والشرعية ، ومن يطلع على تاريخ التربية في الاسلام يجد المسجد المنارة التي حملت مشعل الثقافة جيلا بعد جيل .

وللمسجد اثر في تركيز الشخصية الاخلاقية حسب تعاليم الاسلام الخالدة ، فلولاه لما استقر ذلك السلوك الاخلاقي الذي تميزت معالمه واصبح مظهرا لشخصية المسلم اينما حل ، وقد حصل هذا بفضل الدور الفعال للمسجد حينما كان الخطيب كل جمعة يلقي على الناس وجوب ربط الايمان بالعمل، وان السلوك الاخلاقي ركن ركين في التوحيد .

ولا يقل دور المسجد في التدريب الاجتماعي عما سلف ، حيث ان المسجد كان النادي والمجمع الذي كانت تأوي اليه الناس فتتعارف وتتحابب ويطلع البعض على شؤون الآخرين مما ادى الى احكام الروابط والصلات بين الناس .

كل هذه الوظائف العامة والخاصة للمسجد علمت من قبل ويعرفها الخاص والعام بعد ان تطرق اليها الكتاب والمفكرون قديما وحديثا ، ولكن ما لم يتنبه اليه الا النزر القليل هو ما للمسجد من اثر فعال على نفس المصلي وعلى نفسية واعماق شعور المسلم وهو يستمع الى الذكر الحكيم او الى خطبة الخطيب في ذلك الجو الجليل الذي لا يتوفر الا في تلك اللحظات التي يلجأ اليها المؤمن ليؤدي شعائر الصلاة يوم الجمعة او فيما عداه من الايام .. وان هذا الاتصال الانساني في حاجة اليوم الى مزيد من العلم والى استعداد ثقافي خاص لا يقوم فقط على المعرفة اللفظية ، او التاريخية، او السياسية او الدينية ، وانما على دراية بالنفس البشرية ، هذا الاتصال الانساني ينحدر من اعلى المنبر لينفذ الى انفس المصلين فيهزهم من اعماقهم ان كان قولا مؤثرا او لا يكاد يتعدى الاذان ان كان مجرد كلام يقال .

واذا كانت المدرسة مصنع الافكار والعقول فالمسجد مصنع الارواح والانفس ايضا، يطببها ويضمد جراحها فيزيل عنها الصدا ويعيد لها شبابها وحيويتها كانت وظيفة المسجد فيما مضى اعداد الجيل المسلم وقد حافظت جوامع الازهر والزيتون والقرويين — الى عهد قريب — على نمطية هذا الاعداد داخل المساجد؛ اما اليوم فقد انتزعت المدرسة الحديثة من المسجد تلك الوظيفة التعليمية مبقية له جانبا روحيا محضا ولكنه لا يقل اهمية عن الجوانب الاخرى وهو يتمثل في خطبة الجمعة وفي دروس الوعظ والارشاد ، واحسب ان القاصدين الى المسجد اليوم في حاجة الى ثقافة وعلم يختلف بعض الاختلاف عما يتلقاه في المجتمع الفسيح عن طريق المدرسة او المجلة او الاذاعة او الشاشة ، ان المؤمن اليوم في حاجة الى كلام ينفذ الى القلب ، الى عبر تهز المشاعر ، واغلب القاصدين الى المسجد اتعبتهم مشاكل الدنيا فقدموا الى المسجد طلبا للشفاء ، تماما كمن يقصد في ايامنا في العواصم الكبرى العيادة النفسية بغية الشفاء النفسي ، وما اشبه هذا الحال بذلك بل ما اقرب الصورة بين مريض يمتد على سرير المحلل النفسي وكله عزم على تنفيذ ما سيسمع وبين

المصلي وهو يدخل المسجد مستسلما خاشعا لانه سيسمع قبسا من القرءان وقولا حكيما من روح الاسلام ، فيجلس في خشوع وانصات منتظرا الكلام المنفس ، وما العلاج النفسي الا تنفيس وتفريغ الطاقة المريضة والهواجس المتعفنة والاحقاد المكظومة .

والعلاج النفسي ميادين متنوعة تبدا من التطبيب النفسي الكلينيكي لمرضى العقول كالمجانين وهذا النوع له مجاله في المستشفيات العقلية الخاصة – وتنتهي انواع العلاج عند اخصائي التوجيه والارشاد كما هو الشان في المدارس والمصانع والمؤسسات الاجتماعية ، وهذه جميعها تشتمل على خبير نفسي يقدم النصائح ويوجه العمل توجيها نفسيا خاصا ، وهذا الخبير هو اقرب الناس الى ما يقوم به الخطيب في المسجد ، الا ان الاول يعمل للدنيا والثاني يعمل لوجه الله اولا ، ولاسعاد المؤمنين اخيرا ، اي ان الدافع مختلف ولكن الغاية تبقى هي هي سواء هنا او هناك .

والمعهود في التحليل النفسي ان العلاج الناجح يقوم على عناصر ثلاث : طبيب بارع وبصير ، ومريض يكشف في صدق وطمأنينة ما لديه من علل بطريقة واعية او غير واعية (كما هو الشان في التنويم المغناطيسي وتداعي الافكار) ، ثم كلام متبادل بين المريض والطبيب ، وهذه العناصر قائمة داخل المسجد حيث ان هنالك الامام الواعظ ثم المصلون او المستمعون الى دروس الوعظ ، ثم كلام صادر وقائم من طرف واحد مما يجعل المصلي في موقف سلبي فتكون العناصر الثلاثة السابقة ناقصة قليلا ، واذا كان هذا الركن مفقودا فمن السهولة بمكان ان يتغلب عليه الخطيب الصادق او الواعظ المستنير ، فهو يستطيع معرفة مشاكل المومنين القاصدين الى المسجد، بطريقة غير مباشرة باستقاء هذه المعلومات من منابعها العامة كمراكز الشرطة ومجالس المحاكم الشرعية والمدنية ومن انباء الصحافة المحلية ومن مخالطته الشخصية ومعارفه من الناس حتى يتعرف على المشاكل الواقعية والجارية في مجتمعه الصغير حتى اذا ما وقف ليخاطب المؤمنين كان حديثه في محيط تلك المشاكل الخاصة والعامة التي تكون احداث الساعة .

والقاعدة التربوية الحديثة التي تؤمن بها المدرسة المعاصرة هي ان تجعل التعليم والتثقيف مستمدا من صميم المجتمع المادي والبشري المحسوس ، واعداد من غير هذا القبيل سوف يبقى معزولا عن الحقيقة الخارجية والواقع الحي ، والمسجد في ثوبه الجديد هو من صميم المجتمع او هو كلمة الله لمؤمني القرن العشرين الذين يعيشون مشاكل معينة ، لقد نزل القرءان ليخاطب عقول الناس باللغة والمعاني والمقاصد التي تتجاوب مع حاجاتهم ، فلماذا نخرج عن القاعدة القرآنية الاولى فنخاطب الجمهور في مشاكل بعيدة عنه ونقدم له ما لا يشاهد في البيئة العربية الاسلامية الجديدة .

فالمسلم في عصور ازدهار الدولة الاسلامية لم يكن يعرف عقد النقص امام حضارة اخرى اقوى واغنى ، لان الدولة الاسلامية العتيدة كانت تحميه وتجعله في اعتزاز بما لدى المسلمين من علم وثقافة وازدهار مدني وصولة عسكرية ، اما اليوم فان التفوق الظاهري للغرب من شانه ان يزعزع الاعتداد ويدخل على النفس الشك والظنون بعظمة الاسلام وخاصة على هؤلاء الذين يجهلون فلسفة الاسلام ومقاصده الانسانية الخالدة ، بل ويكتفون بالحكم الظاهري السطحي .

ومن التعاليم الشائعة الجارية اليوم الفصل بين متطلبات الروح وبين حاجيات الجسد ، وفلسفة الغرب هي انعكاس لهذا المفهوم فما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وهذه الفلسفة سرت في المجتمع العربي المسلم ولم يعد هنالك ربط بين اوامر الله ونواهيه من جهة وبين سلوكنا اليومي واعمالنا الخاصة .

والمسلم المحافظ على تعاليم الاسلام الحقيقية في جهاد عنيف امام مغريات الجسد والجنس ، وهو ان لم يجد ما يرفع من معنوياته ويبدد تلك الغيوم، غيوم الشك والارتياب فسوف يضعف وينجرف مع التيار ، وخلاصة القول ان المسلم في هذا العصر المضطرب في ارهاق نفسي وتعب فكري وهو حينما يدخل الى المسجد يدخله دخول المريض الى المستشفى لانه اتى طلبا للغذاء المفقود والدواء الشافي – وهنا يظهر الدور الخطير الذي يلعبه المسجد في عصرنا الحديث لانه الملجا الوحيد الذي يستظل تحته المؤمن ويستقي منه الثقافة الاسلامية القويمة ، ويقدم له الحل الاسلامي لمشاكله الدائمة ويوجهه الوجهة التي يرضاها الله حتى اذا ما دخله عابس الوجه يائسا بائسا فسيخرج منه طلق المحيا باسما متهللا لانه مكن من المفتاح الذي سيحل له الابواب المغلقة ابواب السعادة والرضوان .

وهران – جمال الدين بغدادي القادري

الحركة الدينية في عهد المرابطين

الأستاذ: محمد بن ادريس العلمي

انتشر الاسلام بسرعة فى المغرب ، ووجد بين قبائله المختلفة فى عهد ادريس الاول ودولته التي استمرت ازيد من ثلاثة قرون ، حيث دخل المغاربة فى دين الاسلام افواجا وتقبلوا احكامه ، وانقادوا لتعاليمه ، وبطلت عادة الارتداد التي تكررت عندهم اثنتي عشرة مرة على ما ذكر المؤرخ الاجتماعي الكبير العلامة ابن خلدون فى مقدمته ، ولسنا فى معرض مناقشة هاته الدعوى ونحن نعلم أن المغرب كغيره من الامم والشعوب مرت به فترات متناقضة من تاريخه العقائدي والديني ، وكان ينفعل طبعا للمذاهب التي كانت تظهر فى الشرق العربي نظرا لما كان بينهما من علاقات وروابط لا تنحصر فى ميدان معين ، فالخوارج ظهروا بالمغرب كما ظهروا بالمشرق ، ومذهب الاعتزال لم يخل المغرب او بعض قبائله على الاصح من التاثر به ، على ان المذاهب السنية كانت دائما تربح المعركة ، لان المغاربة قوم عرفوا بالذكاء والحدة والصفاء ، وحسن النية ، اذا نوظروا وايدت المذاهب بالحجة لديهم وعرفوا انها حق اتبعوها ، ولذلك نرى تاريخهم سلسلة حلقات تشيد بمواقفهم من الدين الاسلامي حينما كانت تلم به الملمات او تنتابه النوائب ، وقد كانوا يتعاونون على نشره وتأييده بكل ما لديهم من قوة وسلطان ومال وجاه وعلم وفكر بوجه عام ، يؤسسون لذلك الجمعيات السرية والرسمية ، ويقيمون الرباطات فى شرق البلاد وغربها ، وفى كثيرمن النقط فى القرى والمدن ، ويذكر علماء التاريخ ان رباط وجاج بن زولو اللمطي السوسي الذي كان يسمى دار المرابطين بنفيس المغربية هو اقدم رباط مغربي ، وان منه انتشرت فكرة تكوين اول دولة مغربية بعد الدولة التي قام بتأسيسها ادريس الاول ونسبت اليه ، لان الرباط كما لا يخفى مدرسة دينية يجتمع فيها العلماء والصالحون والاتقياء من الشعب ، وفيها يدرسون الحقوق والواجبات ، ويتعرفون على تعاليم الاسلام ، وما تطالب به من صلاح واصلاح ديني ودنيوي ، ويعتبر عبد الله بن ياسين احد خريجي هذه المدرسة ، ومؤسس رابطة الساحل المغربي التي اقام فيها نحوا من ثلاثة اشهر يعلم طائفة من كدالة تعاليم الاسلام واحكامه ، ويشرح لهم الاسباب التي جعلت المسلمين الاولين يعيشون فى سعادة ابدية فى دينهم ودنياهم ، وقد كان فى مقدمة تلاميذ الرابطة ابراهيم بن يحيى الكدالي امير صنهاجة الذي عمل بكل ما لديه من الوسائل على بث الروح الدينية ونشر التعاليم الاسلامية حتى استطاع بفضله وبفضل سياسة استاذه عبد الله ان يجمع شمل كثير من المتشردين من صنهاجة فى كتلة واحدة تضم ما يزيد على الف رجل من اشرافهم ، كلهم مومنون محتسبون يقدرون واجباتهم الدينية والدنيوية ، ويعرفون حقوقهم فلا يتعدونها ، ويعملون لتكون كلمة الله هي العليا وليستقيم امر الاسلام فى ديار المغرب كما هو قائم فى المشرق الشقيق ، وتطبيقا لما جاء فى الحديث الذي رواه مسلم عن الثقات من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال اهل المغرب قائمين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله » ، وقد كتب العلامة ابو بكر الطرطوشي من الاسكندرية الى السلطان المغربي رسالة يبين فيها ان المغاربة هم المشار اليهم بهذا الحديث حقا لان الطوائف الضالة لم تؤثر فيهم كما اثرت فى اخوانهم بالشرق الاسلامي ، وقد كان هؤلاء المرابطون النواة الاولى لتأسيس الدولة المغربية الثانية دولة المرابطين التي كان فيها الدين عزيزالجانب رفيعالقدر يمتازبكونرجاله واعلامه يتحكمون فى كل صغيرة وكبيرة وقولهم

مسموع وامرهم مطاع تتكون منهم المجالس الاستشارية في قصور السلاطين وبلاطات الملوك وبمقتضى فتاويهم تنفذ الاحكام وتطبق القوانين الصادرة ووفقا لاشاراتهم تمضى المراسيم وتوقع الظهائر الملكية .

ونظرا لما للروح الدينية من تغلغل في نفوس المغاربة ، وما لهؤلاء من اقبال على العقائد حتى انهم ليهجرون ديارهم ويتركون اموالهم ويضحون بكل غال ونفيس لديهم في سبيلها قام بعض الزنادقة والمغرضين بمحاولة نشر افكار هدامة استجابت لها طائفة من شعوب المغرب السليمة الطوية ، ولكن هؤلاء الدجالين سرعان ما افتضح امرهم ، وباءوا بغضب من الله ، واصدر عليهم الشعب المغربي احكاما قاسية اودت بكثير منهم فسجنوا وعذبوا واحرقوا ونفوا ، ومثل بهم شر التمثيل لتزويرهم على الاسلام وكذبهم على الله ، وقد ذكر مؤلف الذخيرة السنية اسماء لبعض هؤلاء الشياطين ، ومنهم العبيدي الذي احرق بفاس في باب كبير سمي به باب المحروق من هاته المدينة العظيمة الشهيرة في التاريخ الاسلامي ، ومنهم ابن ابي محلى صديق محمد ابن ابي بكر الدلائي ، ومنهم احمد بن قسي الذي تحدث بالاباطيل في مسجد بالبرتغال ، ومنهم ابراهيم الفزاري الساحر المتنبىء. وقد ظهرت مقاومة المرابطين لهذه المذاهب الانتحالية ، وهاته الحركات الهدامة المغرضة ، خصوصا في عهدي يوسف بن تاشفين وابنه علي الذي فتح باب العلم على مصراعيه بالمغرب يرده الصغير والكبير ويقوم بنشره علماء البلاد وغيرهم من علماء الاندلس على السواء ، وشجع الحركة الدينية تشجيعا لم يعهده قبله ، وكان التبادل الثقافي في عصره نشيطا الى حد كبير حتى كان يجتمع برباطه فطاحل من علماء فاس والقيروان وقرطبة ومراكش وغيرها من العواصم والمدن الاسلامية . ولكن بكل الاسف استغل بعض الفقهاء النفوذ الذي تمكنوا منه في الدولة والسلطان الذي ادركوه على عهد هذا الملك المصلح فقاموا بمحاولات ضد بعض من العلماء الذين ظهر صلاحهم وعرفوا بالطهارة وحسن الاعتقاد ، ومن هؤلاء الفقيه ابو العباس بن العريف الذي ذاع صيته وتداول الناس ذكره في الآفاق ، وخصوصا في باب العبادة والزهد ، فقد ذكر العلامة ابن بشكوال في تاريخه ان اتباعه في طريقته الصوفية قد كثروا الى حد بعيد ، الامر الذي حمل بعض علماء الدين في عصره على انكار مذهبه والوشاية به الى الملك علي الذي امر بالاتيان به من غرناطة قصد تأديبه واثابته ، وكم له من نظير ، فقد استقدم ابا الحكم بن برجان من اشبيلية ولم يكن اقل منه في الانتحال والصلاح والفلسفة العميقة حتى لقب بغزالي المغرب . واذا كان علي بن يوسف قد قام بهاته الحملة ضد هؤلاء العلماء والابرياء فاننا نلتمس له الف عذر وعذر، فلقد طغت موجة الزندقة والانتحال الكاذب في عصره ، وظهرت المقالات الصوفية المعقدة التي لا تستسيغها عقول كثير من العلماء الذين الفوا الوضوح فيما بين ايديهم من كتب التفسير والحديث والاصول والفقه والعقائد الاسلامية كلها ، وقد كانوا يفسرون اقوالهم على غير ما تشير اليه في نفس الامر ، وبذلك حصل سوء التفاهم بين الراوي والمروى عنه ، وحدثت ازمة علماء الفلسفة الاسلامية من المشرق ومن المغرب ، وقد تجاوزت هاته الازمة الحدود المعقولة ، فادت الى احراق كتب عزيزة في الدين ، هي كتب الامام الغزالي ، وناهيك به من امام يعرفه الكبير والصغير ، ويسمع بعلمه وفهمه اكثر من يمشي على وجه الارض من الذين يسمعون ويعقلون.

ومع كل هاته الاضطهادات التي كان يلقاها العلماء الفلاسفة والعلماء المتصوفون الماهرون في الدين فلم تركد حركة تكوين الرباطات الدينية وتأسيس الزوايا الصوفية في نقط القطر المغربي في الشمال وفي الجنوب والشرق والغرب ، الا ان هاته الروح الصوفية كانت تستمد تعاليمها من القرءان الكريم وحديث النبي العظيم ، وتعتمد على الراجح من اقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم . والحقيقة ان الملوك الذين يتوقون الى تكوين جامعة اسلامية ، ويخضعون الى سلطان من هو اضعف منهم قوة بغية لم الشعث وضم الشتات من افراد الامة الاسلامية جديرون بان ينسبوا الى الخير ويتوسم فيهم العارفون بالله الصلاح والتقوى والعمل النافع في الدنيا والآخرة ، ويوسف بن تاشفين الذي اراد ان يحج اليه حجة الله الغزالي لولا ان المنية عاجلت الملك المغربي ، لم يكن ليشذ عن تعاليم الاسلام ولا يترك رعيته المخلصة لله المتعلقة باذياله تحيد على الاسلام قيد انملة ، وقد بلغت في عهده اكثر ما تطلب وافضل ما تطلب .

واذا كان الغزالي مع اطلاعه الواسع ، وخبرته المنقطعة النظير وتضلعه في الفلسفة الاسلامية بعد دراسة محكمة وابحاث مستفيضة . رغم وجوده بين بيئات مختلفة ووجوده في عهد مليء بالمتناقضات مليء بالشكوك

والاوهام ، قد اشاد يوسف بن تاشفين ملك المغرب وعزم على الرحيل اليه لما علم من تقديره للعلم والعلماء وانصياعه لتعاليم الاسلام ، وبلوغ نفوذه الى حد يستبعد ان يتصور تحقيقه في عهد وجيز ، كما وقع بالفعل في عهد يوسف الملك المغربي ، فان ذلك ليدل بوضوح على مدى عظمة المغرب الدينية ، وتشبع ابنائه بروح الاسلام القويمة التي تحفزهم الى عمل كل شريف ، والقيام بكل ما هو مشرف يرفع من قدر المسلمين ويعلي مستواهم بين العالمين ، ويجعل صيتهم يطبق الآفاق واقلامهم تنفذ الى ما لا تنفذ اليه السيوف المرهفة ، ان نظريات الغزالي في المشرق قد وجدت لها انصارا عديدين بالمغرب الاسلامي تلك النظريات الدينية المتمثلة في نفي التلازم العقلي بين السبب والمسبب نظرا لما يترتب عن ذلك من بطلان اشياء تثبت بالشرع ، ومنها الوحي والمغيبات والمعجزات وعلم الله بالجزئيات التي لا حصر لها ، وعدم تقييد الله تعالى بنظام ثابت لا يتعداه ، وفي قوة العقل بجانب العقيدة الدينية وطرق البحث والاستدلال، وقواعد العقائد عنداهل السنة والجماعة، والتدرج في الارشاد الديني ، وصلة قدرة الله بقدرة الانسان ، واختيار الانسان او اجباره ، وما يريده الله وما لا يريده وباي شيء تثبت الاحكام هل بالشرع ام بالعقل .

لقد حلل الامام الغزالي هاته النظريات في كتبه تحليلا فهمه الكثير من علماء المغرب وكان له اثره بينهم وعملوا على نشره بين العامة والخاصة حتى كونوا مجتمعا اسلاميا متين التفكير صحيح العقيدة لا يومن بالخرافات ولا يصدق بالاساطير . وكان ذلك باعثا على استمرار امتداد الفلسفة الاسلامية بين الشرق والغرب الاسلاميين ، وان كان حاول بعض الذين لم تتفتح اذهانهم اقفارها بدافع النية الصالحة او بعدمها قصدا ، فان المغرب الاسلامي في عهد المرابطين استطاع ان يكون رايا في الدين لا يختلف في فحواه ومعناه عن الاراء التي يدين بها السنيون في الشرق ، وحسب المرابطين افتخارا انهم استطاعوا ان يحافظوا على الروح الاسلامية التي نزل بها الوحي من السماء واتى بها ادريس الى المغرب ، ودانت بها قبائله المختلفة ، وان كانت ظهرت من ملوكهم فلتات وبدت منهم بوادر قد يفسرها بعض من يجهلون الحقائق جمودا ، فاني اقول ان المغرب كالمشرق توامان في الاسلام تربيا في احضانه وعاشا تحت ظلاله قرونا وهما متحدان متضامنان يعملان يدا واحدة ويبذل رجالهما من الجهود التي كتب بها للاسلام ان يستمر في اداء رسالته حتى يومنا هذا ، وان كان بعض التقصير قد بدا منهم فذلك امر عملت عليه ظروف وظروف استثنائية عاشها الاسلام بين منتحليه ومعتنقيه .

الرباط ــ محمد بن ادريس العلمي
الملحق الصحافي للمكتب الدائم للتعريب



الدين والمجتمع

للأستاذ : الحسن الساتح

ان الحياة الاجتماعية التي يعيشها الانسان عبارة عن قطاعات متعددة يرتبط بعضها ببعض ويساند احدها الآخر ، ولعل هذا الارتباط وهذا التساند يكون بين الجميع لحمة اتصال تفسر به اوجه الاتصالات والترابطات ، بل لا يتأتى لنا ان نعرف كل قطاع على حدة الا بعد معرفة القطاعات الاخرى ومدى اتصاله بها جميعا . لذلك كان من الضروري لفهم الحياة الاجتماعية ان تفهم في قطاعاتها المتعددة وان تربط دائما بين وحداتها حتى نتمكن من اخذ الامر من ناحية ونتعمق في فهم المسببات والعلل .

ويظهر ان القطاع السياسي والقطاع العقائدي عظيم الاهمية يتصلان ببعضها اتصالا وثيقا ويمسان جوهر باقي الميادين الحيوية للانسان ، ولا يمكن بحال ان يعرف اي انسان مهما كان عظيم الثقافة سبر الاحداث واتجاه الاعمال ، والالتزام للفكرة ما لم يكن واعيا لما يجري فيهما معانيا مشاكلهما وتجاربهما ، ولهذا يظهر ايضا ان ابن خلدون لم يكن حين زين للعلماء ان يكونوا ابعد الناس عن السياسة ، او حين راى عن تجربته انهم ابعد الناس عن السياسة .

ذلك لان الحياة السياسية هي قطاع حيوي لا يمكن ان يصرف رجل العلم عن معرفة ماجرياته او ان لا يكون محركا لعجلاته ، ومن البديهي ان رجل الدين اكثر اتصالا من رجل العلم بالحقل السياسي ، مع اعتبار ان الاسلام لا يقيم رجالا للعلم ورجالا للدين ، لان العقيدة الاسلامية انما تكون نماذج يمتزج فيها العلم بالدين امتزاجا وثيقا ، لان اعمال الدين الاسلامي كلها معللة باسبابها ومفهومة بحقائقها ومركزة في كل شخصية مسلمة لا في جماعة خاصة تمتاز بمعرفة خفاياه دون البشر اجمعين ، ولو ان ابن خلدون قال ان الدين ابعد الاشياء عن السياسة ، او العلم العملي لتجلى له الخطا بدقة .

واذا فمن واجبنا كمواطنين مسلمين ان نهتم بالقضايا الانسانية الاجتماعية والسياسية على السواء ويقتضي ذلك ان نكون في كل مشكلة رايا وحكما ، وان نكون اجابيين ازاء القضايا التي تعرض لنا ، لا سلبيين متفرجين او سلبيين محتجين ، كما يقتضي ذلك ان تؤسس جمعيات موحدة الاتجاهات مختلفة الاعمال منتقاة من العناصر المؤمنة الحية .

وان تكاثر الاعضاء لا يساعد البيئة على سير العمل سيرا مستقيما او ان يصون نزاهة المبدا ، فاحسن الجماعات من توفرت على عناصر قليلة مؤمنة واعية واسعة افق التفكير لتدرس الدين الاسلامي بدقة وتعيد اليه قوته وصفاء جوهره .

فقد اصبح الدين في جوهره او كاد ، واصبح في نظر المعتنقين له طقوسا وشكليات ، كما اصبح في نظر بعض ادعياء المفكرين اداة تعوق التقدم ، رغم ان الواقع التاريخي والفلسفي هو ان الدين مصدر القوة البشرية وفكرة اصيلة في الانسان ، وهو القوة الوحيدة التي تسيطر على النفس الداخلية والذاتية الانسانية سيطرة دقيقة ، ومزاولة طقوسه عمليا تسمو بالنفس وتكبح الشهوات وتجعل من الانسان مخلوقا اسمى من الحيوان ، ولنضرب مثلا لما ذكرنا من اثر الدين في الشخصية الانسانية والفهم الذي يجب ان نفسر به عملية الرياضة الدينية (الصيام) ، تلك

العملية التي تنظم الاشراف الباطني على الجسم وتوجه الارادة وتكبح الرغبة وتزجر الرعونة ، فالصيام هو دعوة سافرة لانكار الذات عن طريقة قهر الجسد ، واثر الصيام في النفس البشرية المسلمة كاثر الصلاة والحج والزكاة ان لم يكن اكثر عملا اذا ادى على وجه كامل بنزاهة حرفية اي على اساس كبح الذات ، فالصيام الذي يستدعي صياما ينتهي الى شهوة ويكون وقت ممارسته مصحوبا بتفكير شهواني مادي ، لا يؤثر في النفس الى غايته ، ولهذا فلابد ان يساير الصيام الجسدي صيام عقلي باطني .

ويقتضي ذلك تربية على الطهر والتفكير النقي حتى لا تتبع الافكار الغير المرغوب فيها وتنتصر على الارادة النزيهة ولعل الدين لا يستطيع ان يعطي لكل انسان مجنا للحراسة من هذه الافكار المخاتلة ، فكل انسان يستطيع ان يبحث في اعماقه عن مجنه الذي يتقي به شر الافكار الشيطانية وتعتبر الادعية ، والصلوات المنتظمة كفيلة بتكوين حصن نفسي لحراسة مراكز الطهر في النفس البشرية العفيفة ، واذا فالطقوس الدينية يجب ان تنبعث عن الوعي الداخلي لنفسية الانسان والعظات تمازج النفس فتسمو بها الى درجة التقى .

ومن الاسف فجل المتدينين التقليديين الدنيويي التفكير انما يمارسون الطقوس انسجاما مع العرف لا استجابة لنداء الروح المحق .

واني لاعجب كيف يكون الانسان متدينا حقا اذا لم يكن اصيلا في التقى والسمو الانساني ، هذا السمو الذي اذا تملك النفس أصبحت عظيمة مجيدة لا تستشعر العظمة والجاه الا في جلائل الاعمال لا عن طريق اذلال اخواننا في البشرية واحتقار الضعفاء وابتزاز اموال المظلومين واستغلال جهاد المكبوتين لتشعر شعورا قريبا بالاستعلاء والعظمة الفارغة .

الرباط ـ الحسن السائح



دواء الشاكين وقامع المشككين

- 24 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

شعور الانسان من اول نشأته بوجود الله سبحانه وشمول ربوبيته

قال المؤلف : ان هناك حقيقة لا ريب فيها ، وهي ان الانسان في كل مكان وفي كل زمان منذ ابتدا خلقه الى يومنا هذا ، قد شعر بحافز يدعوه الى ان يستعين بشيء يعتقد هو انه اسمى منه واجل واعظم ، يدلنا ذلك على ان الدين فطري فيه ، ويجب ان يعترف العلم بذلك . وسواء احس الانسان في باطنه ان في الخارج صورة قادرة على الضر والنفع ام لا ، فليس ذلك هو المهم . وانما المهم انه في قرارة نفسه يشعر بما يدفعه الى الاعتراف بوجود الله العلي العظيم . ونحن الذين اوتينا معرفة العالم لا ينبغي لنا ان ننظر نظرة ازدراء الى قلة علم الذين سبقونا في طلب معرفة الحق ، او الذين لا يعرفون الآن الحقيقة كما نعرفها نحن . بل ينبغي لنا ان نرتاح ونغتبط ونعجب عندما نرى ان البشر في جميع انحاء العالم يطلبون معرفة الخالق الاعلى ويؤمنون به . اليست روح الانسان هي التي تشعر باتصالها برب العالمين) . أم نخاف ان نؤكد ان الحافز الديني الذي لايوجد الا في الانسان هو جزء من الكائن الاعلى كسائر صفاته ؟ ان وجود هذا الحافز لبرهان على قصد العناية الربانية ، وكذلك عقل الانسان المادي العجيب الذي يكمن في احساسه .

ان الذرات والجزئيات التي يشتمل عليها جسم الانسان ليس لها فكر البتة ، وكذلك اتحاد العناصر لم يصدر عنه راي قط . ولم يكن في امكان اي قانون من قوانين الطبيعة ان يبني كنيسة . ولكن كائنات حية قد خلقت تبعا لحوافز معينة للحياة ، وهذه الكائنات تشتمل على شيء تطيعه جزئيات المادة بدورها ، وكل ما نراه من عجائب المدنية هو نتيجة لذلك . فما هو هذا الكائن الحي ؟ اهو ذرات وجزئيات ؟ نعم . وماذا غير ذلك ؟ شيء لايدرك باللمس ، لانه اعلى من المادة بكثير الى حد انه يسيطر على كل شيء ، وهو مختلف جدا عن الشيء المادي الذي خلق منه العالم ، حتى انه لايمكن ان يرى او يوزن او يقاس . وليس له فيما نعلم قوانين تحكمه . ان روح الانسان (هي سيدة مصيره) ، ولكنها تشعر باتصالها بالمصدر الاعلى لوجودها . وقد اصدرت للانسان قانونا للاخلاق لايوجد عند اي حيوان آخر ولا حاجة له به . فاذا سمى احد ذلك الوجود فضلة لتركيبات المادة ، لاننا لانعلم حقيقته بأنبوب الاختبار ، كان ذلك دعوى خالية من البرهان . انه موجود ، ويبرهن على وجوده باعماله ، وبما يبذله ، وبسيطرته على المادة ، وفوق ذلك كله ، بقدرته على رفع الانسان المادي من ضعف البشرية وضلالها الى موافقة ارادة العلي الاعلى . هذه حقيقة مراد الله سبحانه . وفيها ايضاح للاشتياق الكامن في الانسان، للاتصال باشياء هي اعلى منه ، وفيها كشف لاساس الداعي الديني في الانسان . وذلك هو الدين .

والعلم يعترف ويشهد اتم شهادة بان الانسان تواق الى اشياء اعلى منه ، الا انه لايهتم كثيرا باختلاف العقائد ، وان كان يرى انها كلها طرق يقصد بها الوصول الى معرفة الله . والذي يراه العلم ويعرفه جميع المفكرين ، ان اعتقاد عموم البشر بوجود الله العلي الاعلى له قيمة عظيمة لا حد لها .

ان تقدم الانسان من الوجهة الخلقية وشعوره بالواجب ، انما هما نتيجة الايمان بالله والاعتقاد بالخلود . ان قوة التدين تصفي روح الانسان وترفعه

درجة بعد درجة حتى يصير من العارفين بالوجدان الواصلين الى حضرة القدس . ان الانسان مفطور على الاستعانة بالله والابتهال اليه ، وكلما دعا الله ازداد منه قربا . ان الوقار ، والكرم ، والنبل ، والخلق الحسن ، والالهام ، وسائر الصفات المرضية عند الله ، لايصدر عنها شيء عند الالحاد والتعطيل ، لانهما اي الالحاد والتعطيل من الرعونات الناشئة عن غرور الفرد الذي يحمله على دعوى المشاركة في الربوبية . متى زال الايمان بالله وصلت المدنية الى الافلاس ، وحلت الفوضى محل النظام ، وتلاشى كل قيد يكبح النفوس عن الاجرام ، وعم الشر والفساد جميع العالم . فدعونا اذن نتمسك ونعتصم بالايمان بالله العلي العظيم ، وبمحبته ، ونتمسك بالاخوة الانسانية التي ترفع انفسنا وتقربها من الله ، وبذلك نطيع الله تعالى ونتبع مرضاته على بصيرة ، ونتقبل تبعة ايماننا واعتقادنا من حيث كوننا خلقه ، جديرين بعنايته . .

ان التقدم الخلقي ينمو ويسير ببطء ، لكن بخطى ثابتة واطمئنان ، يسير بالانسان الى تمام الادراك لعلاقته باخوانه في البشرية ، ويضع المثل العليا التي ترتبط بها الانسانية في النهاية .

ان وجود الانسان على وجه الارض بالنسبة الى الابد الذي لانهاية له لايستغرق الا وقتا قصيرا جدا . وتقصيره عن بلوغ الكمال في الوقت الحاضر ليس الا دورا من ادوار تطوره من تكوين مادي مجرد الى مايمكن ان يصير اليه في النهاية ، وهو ان يكون روحا طاهرة كاملة طيبة . وسيهبنا الله العلي العظيم الوقت الكافي ، وفي اثناء تقدمنا الى الامام ينبغي لنا ان نتوجه الى الله بكل ما نستطيعه من التضرع والابتهال باخلاص فنقول : اللهم اهدنا صراطك المستقيم وارفعنا الى مستوى الاخوة الروحية الشاملة لجميع البشر ، وهب لنا القدرة على التقدم في طريق الكمال الروحي ووفقنا لطاعتك ، حتى نكون صالحين لتنفيذ مشيئتك ، فانك لم تخلق الانسان لتهمله .

تعليقـــات

1) قوله : هو جزء من الكائن الاعلى الخ . قال الله تعالى (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، وان عيسى عبده ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، ادخله الله الجنة على ما كان من العمل » في هذا الحديث تفسير وبيان لقوله تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) لانه سماه عبد الله ورسوله ، فدل ذلك على ان روح عيسى مخلوقة كسائر الارواح ، وانما اضافها الله تعالى الى نفسه تشريفا وتكريما ، فتعالى الله ان يحل في خلقه او يحل فيه شيء من خلقه . (ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) ومن قرا الاناجيل الاربعة ، وكانت عين بصيرته مبصرة يجد فيها التصريح الذي لا لبس فيه بان عيسى عبد الله ورسوله . ومن استراب في ذلك فالعرب بالباب ، فاني مستعد ان انقل له من ذلك ما يروي الغليل ويشفي العليل .

2) قوله : شيء اعلى من المادة . يريد المصنف بهذا الكلام ان يزيد ما اوضحه من قبل بيانا ويقيم الحجة بعد الحجة ، والبرهان تلو البرهان على فساد مذهب الطبيعيين والماديين . وحاصل ذلك ان جسم الانسان مكون تكوينا عجيبا من الذرات والجزئيات . وقد تقدم تفصيل القول فيها ، ومع كل ما فيها افرادا وتركيبا من الابداع والاتقان ، فان الشيء الوحيد الذي تشرف به الانسان وامتاز به عن الحيوان ، لم يات من تلك الذرات ولا الجزئيات ، لا افرادا ولا تركيبا ، وهو اسمى واجل من ذلك . ولا يستطيع عالم طبعي او مادي أن يدعي انه نتيجة لتفاعل تلك الذرات والجزئيات . وهذا الشيء هو الروح . وهي هبة من الخالق جل وعلا اودعها اسرارا مدهشة ووهب لها الخلود وجعلها حجة على عباده (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

3» قوله : وان كان يرى انها كلها طرق يقصد بها الوصول الى معرفة الله . بيانه ان الغاية واحدة ، وهي معرفة الله وتوحيده واستمداد العون منه ومراقبته والانس به والاستغناء عن غيره . فتعاليم رسل الله ومن اتبعهم باحسان لاتختلف الا في العبارة ، واما الغاية فهي واحدة .

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

4) قوله . حتى يصير من العارفين بالوجدان . اقول : او لما يبدا به طالب معرفة الله ، الاستدلال

بالمخلوقات على الخالق ، وقد نبه القرآن الكريم الى ذلك في مواضع كثيرة ، وقد تقدم بعضها ، كقوله تعالى (اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ، افلا يؤمنون . وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا ، وهم عن آياتها معرضون) ولا يزال الطالب يرتقي في معرفة الله بالاستدلال حتى تحصل له المعرفة الوجدانية الذوقية وتنزل في قلبه السكينة . وذلك هو الذي يعبر عنه العارفون بالوصول الى الله .

5) قوله ، الذي يحمله على دعوى المشاركة في الربوبية . من التعاليم الفاسدة الموجودة عند فريق من الناس في هذا الزمان ، ان الانسان من حيث المجموع هو القوة العظمى التي لانهاية لعظمتها ، وليس وراء هذه القوة قوة اخرى ، وانه بذلك على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، ولا حاجة له ان يستمد العون والقوة الا من نفسه . وهذا هو الذي اشار اليه المصنف بدعوى المشاركة في الربوبية . اقول ، ومن هذا القبيل كان غرور فرعون ملك مصر ، اذ قال انا ربكم الاعلى . ومثله نمرود ملك العراق قال لابراهيم في محاجته له ، انا احيي واميت . والعجب من هذا الفريق اذ يعطي كل هذه القوة الانسان من حيث المجموع ، فانه يحتقره من حيث هو فرد كل الاحتقار ولا يجعل له قيمة اصلا ، وهذا في غاية التناقض . والحق ان خضوع الانسان امام عظمة الله واستمداد العون والقوة منه ليس حطا من شأنه ولا ضعفا ولا عجزا ، بل هو اعظم قوة ترفع الانسان وتسير به الى الامام في طريق الرقي الكامل الحافظ لكرامة الانسان فردا او جماعة .

6) قوله ، وتتمسك بالاخوة الانسانية . الاخوة الانسانية الكاملة هي اجل الغايات التي دعا اليها الانبياء والصالحون من اتباعهم وكذلك فلاسفة الاخلاق، وهي اسمى الغايات الاجتماعية . قال تعالى في سورة الانبياء (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ،) فمحمد رسول الله ارسله الله رحمة لجميع الناس وهو القائل: ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . فيجب على من اراد اتباعه والاقتداء به ان يكون رحمة للعالمين وبذلك تعم المحبة وتتحقق الاخوة والتعاون بين البشر ويتلاشى الشقاق والنزاع ويخسا شيطان التعصب ويصير الناس الى المدنية الفاضلة .

7) بهذا المقال تتم ترجمة كتاب (ليس الانسان مهملا) للعالم الكبير (كريسي موريسون) مع التعليقات التي فتح الله بها . واني لاشكر ادارة مجلة دعوة الحق التي تفضلت بدعوتي الى كتابة هذه المقالات ، كما ارجو ان تخطو خطوة اخرى فتجمع هذه المقالات وتطبعها وتخرجها كتابا يمكن ان يكون هدية لقراء المجلة تعويضا عن الشهرين اللذين تتوقف فيهما المجلة ، فاني على يقين ان كثيرا من قراء مجلة دعوة الحق وغيرهم سيتلقون هذا الكتاب بغاية الارتياح وجزيل الشكر . وما ذلك على الهمم العالية بعزيز .

وكان ذلك في سادس رجب الحرام سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة والف بمدينة مكناس المحروسة . وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي



أبحاث ومقالات

الكائن والشعور بالكينونة

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ان كينونتي ، كما أشرنا الى ذلك ، تظهر للاخرين قبل ان تظهر لي ، وتملك عفوية منظمة ، مرتبة . ومن الواجب أن أرى كيف تظهر لي كينونتي ، وكيف تعي العفوية ذاتها .

وعند ما تبدا الاوضاع النفسانية تتوطد ، تصبح نزوعات الانا النوعية منظمة تنظيما كافيا ، لتتجسم في النشاط : وبذلك تبرز العفوية كشعور واع . انها تتوطد بامتدادها ، عن طريق النشاط ، وبالتصاقها بما يحيط بها ، انها تنكشف كعفوية ، وكقدرة على التكيف والخضوع . ولكي تستطيع التوصل الى السيطرة على نفسها ، عليها ان تخرج من دائرتها الخاصة ، لتدخل في عالم علاقات الكائنات والاشياء .

* * *

ان الطفل ، بين الثانية والثالثة من عمره ، قادر على ان يعيش بين الاشياء ، وان يتخذ منها وسائل لفاعلياته ، وان يتصرف فيها ، في حين انه ما زال عاجزا عن ان يحدد « انيته » ، باستعمال ضمير المتكلم (je) عندما يتحدث عن نفسه . الشعور بالشخصية ينمو مع العمر ، ويكتمل في حياة الجماعات والاشياء . في هذا الافق ، يجد كل جيل تقنيات خاصة ، وطرازا معينا من الحياة ، وحضارة ولغة . فطريقة التكيف والانتاج ، والتعبير ، في الوقت الذي تصوغنا في اطر هذا الافق ، تصوغ ، ايضا ، فكرنا وتصرفاتنا الخاصة ، داخل نشاط واحد . ذلك ان « الانا » ، بكليته ، يشيد نفسه .

ويظهر من ابحاث (W. Stern) اسطرن ، ان الطفل ، في الشهر الثاني من عمره ، يعطي معنى خاصا لصوت امه ولظهورها المفاجىء في حقله البصري . فيستقبلها بابتسام . اما في شهره السادس ، تقريبا ، فان مواقفه ، تنتظم تبعا لسلوك الكبار ، ولتغيرات التعبير عندهم . نستنتج من ذلك ، أن « تعابير » التواصل والتجاوب ، هي اول ما يدركه الكائن البشري في كل ما هو موجود خارج اناه . انها « تعبيرات » تواصلية ، لكونها مواقف تبرز سلوكا نفسانيا ، على شكل ظاهرات محسوسة تلعب دور المحرض ، واثارة هذا المحرض تطالب بجواب . وهذا الجواب يحصل عن طريق حركات « معبرة » و « تمثلية » . ليس في هذا ما يدهش ، لاننا ولدنا في وسط ، فيه قبل كل شيء ، حياة علاقات .

والواقع ، كما يثبت ذلك فالون (*) ، أن الطفل لا يتجاوز مرحلة الادراك المختلط التلفيقي (التي لا يميز ، اثناءها ، بين الشعور الفردي وبين شعور الآخرين) الا في وقت متأخر ، أي في نحو الثالثة من عمره) . انها حساسية جماعية تعبر عنها الغيرة وتعاطف الذوات ، تنبثق الفردية منهما تدريجيا . ومن ثم يفسر فالون استعمال الطفل ضمير الغائب ، بدلا من ضمير المتكلم ، انه لا يتأثر بحدوث مرحلة نفسانية تسمح للطفل بتجاوز الوضع القائم ، وبلوغ مرحلة التصور العليا .

* * *

ان وسائل الاتصال المباشر بالشعور بالذات ، والاضطرابات العضوية ، والضجر ... لا حقيقة لها ،

* H. Wallon, *Les origines du caractère chez l'enfant.*

بالنسبة لاي شعور ، الا عن طريق التجربة الفردية التي تقوم بها ذات لها حياة باطنية . ولكن هناك حادثا ليس أقل واقعية ، وذلك ان منشأ الوعي الشخصي هو تدخل ذوات خارجية عنه : فالأنا هو هبة من الآخرين . ان الطفل يبدأ بمرحلة اللاتجربة ، ونسيان الذات . فالآخرون هم الذين يتذكرون ولادته وبدايته في الوجود ، وهي مرحلة لم يصل فيها ، بعد ، للاستقلال الذاتي . ان ماضي الطفل هو (من وجهة نظر الوعي) غريب عنه . فالآخرون (من أسرة ومرضع) هم الذين يحدثونه عن ما ضيه ، ويعلمونه اياه (ولا نقول يذكرونه به) .

ان « الأنا » عند الطفل ، في الوقت الذي يأخذ في التعرف على ماضيه ، يشعر انه احدث عهدا مما هو في الواقع : انه يحمل معه ماضيا لا يخامره شعور بسابق ممارسته له ، انه يجهله جهلا مطلقا . فالآخرون هم الذين يموضعون هذا الماضي في الاحاديث التي يروونها له ، كما لو انهم يريدون ان يشعروه بانه اكبر سنا مما يظن ، وان حياته ليست حياة جديدة ، وان تجاربه ليست حديثة العهد الا في الظاهر : فهو أكبر مما عليه ذاته الآن .

ان تمثل الكائن لذاته ، متاخر دائما عن الفكرة التي يكونها الآخرون عنه . اليس الآخرون هم الذين يشخصونه قبل ان يدرك نفسه ، بصفته الكائن كما هو في الواقع ؟ .

ولذلك ، فنحن لا نستطيع تعريف الكائن البشري ، باعتباره « ظهورا » فقط ، بل باعتباره « ظهورا » للآخرين . كما انه ليس مجرد حضور في وسعه الاستغناء عن الارتباط بأشياء اخرى . فكل حضور لا يكون ، ابدا ، الا في موضع ، « في ـ هنا » (Là) وعلى هذا ، فالموضع ، اي الـ « هنا » ، لا يكون ، حتما ، الا في مكان وزمن .

ومهما يكن تعريف الكائن ، بالنسبة للآخرين كشيء ظاهر لهم ، أو بالنسبة الى الـ « هنا » ، كمحتوى لاطار ضروري للوجود ، فهو دائما الكائن في ارتباطات . انه لا يحمل في ذاته معناه الخاص ، ولكن هذا المعنى ينصب عليه من الخارج . انه الكائن ذو العلاقات ، لا الكائن الذي يجب أن يوضع في علاقات . وماذا نستطيع أن نقوله عن كائن منقطع عن العلاقات ؟ انه ، هو نفسه ، لا يدرك ذاته ، عن طريق رؤية الوعي ، الا بعد أن تكون حاسة النظر قد انفتحت على الوسط الذي يوصله بالآخرين ، في عصر معين ، في تاريخ . ان الكائن ينغطس في هالة ثقافية : فكل « انا » هو تاريخ وبيئة . فلا يستطيع أن يقول شيئا ، لنفسه عن نفسه ، الا بواسطة الاشارات ، والمعاني ، والقيم التي يجدها في وسطه ، لان الكائن هو ظاهرة كينونته ، وزيادة . ولولا هذه الزيادة ، ما دخل الكائن في الوجود البشري ، لان الوجود لا يحصل الا بالتعالي ، اي بنفي الذات عن طريق العلاقات التي تشخصن الكائن . انه يتفوق على نفسه بخضوعه المستمر للعلاقات وما يقوم به ليتحول الى شخص . فلا يكتسب نصيبه ، في عالم الموجودات ، الا بهذه الشروط ، بحيث لا يعلن عن ذاته الا باعلانه عن « حضوره ـ هنا » للآخرين .

يعي الكائن ذاته بواسطة الضجر والغثيان (سارتر) ، او بطريقة مباشرة ، حدسية ، اي بصفته ديمومة صرفة (برجسون) أو عن طريق التجربة الخارجية ، خلال مرحلة المرآة او بعدها ، (*) ، مما يفترض أن الشيء المعروف يرد محتواه الى المعرفة كما ترد المعرفة الى الكائن العارف ، باعتباره كائنا موجودا ، لا باعتباره كائنا معروفا ، اي الى الوعي . اذن ، اننا لاندرك كائنا حيا عارفا ، وفي الوقت نفسه ، غير واع لذاته . وبما ان شعوري ـ بذاتي ليس سابقا على الكائن الذي هو « أنا » فان الآخرين يدركونني ، ويعترفون بي ، قبل ان اتعرف على ذاتي بوعيي .

الوعي هو وعي عالم اشياء ، واشخاص ، اي الافق الذي يبدو فيه لذاته ، كانه على شاشة بيضاء تبرز عن هذا العالم . يجتاز الطفل ، باديء الامر ، مرحلة الادراك التلفيقي انه يبدأ بادراك الكل قبل ادراك التفاصيل . فهو ، مثلا ، لايميز بين الالوان ، بكيفية واضحة ، خلال الاشهر التسعة الاولى . انه لا يصل ، الا تدريجيا وبعد امد ، الى التمييز بين الالوان وبين

(*) يعتقد (Janet) جانى ان الطفل بين شهره الخامس عشر والرابع والعشرين لايتعرف على نفسه في المرآة : انه يعتقد ان وراءها طفلا آخر .

الاشياء . فالادراك كما يثبته برجسون(*) ليس شعوراً، ولكنه يصبح شعوراً بواسطة الذاكرة . والادراك الواعي هو شكل معين من الادراك العام . يجد الوعي نفسه امام حضورين : الماضي الذي هو حاضر في الذاكرة ، ولكنه غير متحقق ، والحاضر كما هو في الواقع (*) . والادراك عالم يتلاقى فيه هذان الحضوران : فالماضي يعتبر نوعا من الوجود ، انه المادة التي تنسج منها الذاكرة .

ان الطفل لايتجاوز ، في البداية ، الحياة المعنوية لاسرته ، ان حياة الاسرة ، وعواطف البيئة ، وافكار تستولي على الطفل ، وتخضعه للكائنات والاشياء التي تحيط به وتقاومه ، فيصبح تائها خارج نفسه ، بين كل الاشياء التي تملأ هذا الوسط . فتجاربه النفسانية تتطور مع تجاربه المجتمعية ، في آن واحد . فكلا النوعين ، من هذه التجارب ، يشكل مجرى حياته . ان وعي الانا يتقوى مع الزمن ، بقدر ما يتسع ميدان اتصالاته بالواقع الخارجي ، وعلى ذلك يصبح « انا » ثابتا ، يندمج في صراع الحياة ، يقتحم تياراتها العنيفة . « فالانا » لايظهر في اتصال متين مع « انا الاخرين » فقط ولكن كذلك قبالهم ، اذ يدرك ان له حياة نفسانية خاصة . ومهما يكن من امر ، فنحن لانستطيع ان نتحدث عن افكار « نا »وعواطف « نا » وميول « نا » الا بعد ان نكون قد موضعنا التجارب النفسانية التي لقنها لنا وسطنا . وعلى ذلك ، فالشخصية كما يؤكد السيد (لاغاش) (*) تنتظم خلال السنوات الخمس الاولى من الحياة ، داخل علاقات الطفل المتبادلة واسرته . ان تبعية الطفل ، هي نتيجة حتمية، لعدم نضجه البيولوجي . فارتباط الرضيع بأنه ارتباط طفيلي (*) يأتي كنتيجة للاتحاد العضوي ، وشبه تصميم لما سيكون عليه الاتحاد الجماعي . فنحن ، في البداية ، منشقون على انفسنا ، مشتتون ، ضائعون في الآخرين ، وفي التقاليد والعرف ، وعادات البيئة التي نعيد خلقها ، في مجموع اعمالنا في الحياة ، قبل ان نجعل منها ميول « نا » الخاصة ، وسلوك « نا » التي نتوهم انها مستقلة ...

ان الادراك يكسبنا تجارب ، بفضلها نكتشف ان ذاتنا موضوع ادراك للآخرين ، في عالم من الكائنات والاشياء ، اي من المدركات . ثم ان ادراكنا لوجودنا الذاتي ، عن طريق مقاومة الاشياء لارادتنا (نظرية من دوبيران) لا يحصل الا في الصراع ، بين نشاطنا العضوي والعالم الخارجي المقاوم له .

نحن من عناصر هذا العالم ، كما هو شأن الاشياء التي ندركها (نظرية وايتهيد Whitehead) فالادراك كشف عن معطيات موضوعية . فاذا كان ، في بعض الاوقات ، مصدرا الاوهام ، فان هذه الاوهام ، لا تكون مستقلة ، بصورة مطلقة ، عن كل موضوعية . فلا فراغ بيننا وبين الحقيقة الواقعية ، اذ الاشارة الى كائن ، جعله في مجموعة من الارتباطات ، او بعبارة اصح ، في ارتباطات متبادلة ، توجد خارجة عنه ، ولكنها ، رغم ذلك ، تكون شعور ال « لانا » بذاته ، ووعي ال « هو » بالنسبة للآخرين . كل كائن ذرة في الاعصار الكوني ، انه وثيق الصلة بالاشياء والاحياء ، فليس بجوهر (موناذة) منغلق على نفسه . ان كل موضوع يكون هو ذاته ، وفي نفس الوقت ، يكون هو الوسط الذي يحيط به : فالنور يتغير لونه ، تبعا للحواجز ، ويتصرف على اشكال متباينة ، تبعا لمجراه . وهذا ما يحصل لـ « انا» كذلك ، اذ يخضع لما ! « نحن » من كثافة وصفات خاصة ، هذا ال « نحن » الذي يحيط بالانا من كل جوانبه ، حيث يتراءى في مرآته ، ويعكس صوره . فكل كائن حي محدد ، ككل الاشياء ، في افق معين ، اي في نطاق من الفضاء ، حيث مجموع اجزائه تتكاثف ، طبقا لبنية خاصة تفرضها وحدة المجموع ، حتى انه ، بدون هذه الوحدة ، لا يمكن حصول اي ادراك . فهناك اذن شبه حتمية ، لا تسير طبقا للتوالي ، ولكن حسب المعية الزمنية (التآني) . انها حتمية يفرضها المحيط فلا يوجد ، في اي مكان ، كائن منفصل عما في العالم . فكما يؤكده اصحاب « علم الظاهرات » ، ان العالم « هنا » ، قبل كل تأمل او تحليل ، باعتباره حضورا لا سبيل الى نكرانه : « انها عملية اصطناعية ، تلك التي تحاول ان تجعل من العالم شيئا صادرا عن سلسلة من

(*) Matière et mémoire, p. 29-30.

(*) المصدر نفسه ، ص ، 153

(*) Daniel Lagache, *Définition et aspects de la psychanalyse*, in Bull. du groupe de psychologie, p. 11, mai 1950.

(*) يعني ارتباطا يستغله الرضيع لفائدته .

التركيبات التي توصل ما بين الاحساسات ، ثم تربط الجوانب المختلفة للموضوع ، في حين ان كل ذلك ، نتائج التحليل ، لايمكن ان يتحقق قبله ابدا » (✻) .

يثبت علم تكوين الاجنة ، بصورة مطردة ، ان هناك تضامنا متينا بين نمو الفعاليات العقلية ، العاطفية والمجتمعية للكائن البشري ، وبين الاوضاع الجغرافية، أي الشروط الموضوعية للنمو العام لهذا الكائن ، ونمو اجهزته العضوية . فكلما ازداد اتصال الكون بالكائن البشري ، زاد اندماج هذا الكائن في الكون ، بطريقة معقدة . ان (هيدجر) يجعل من فكرة « الكائن — في — العالم » ظاهرة تأسيسية للحقيقة البشرية . ولكن هذه العبارة « الكائن — في العالم » ، لها خاصة : ان لفظة « في » لا تقصد المعنى العادي ل « في » وان العالم،في عبارة هيدجر ، لا يعني « العالم » ، انها تدل ، كما يلاحظ السيد الكيي ، على حقيقة وجودية ، فهي انغلاق لمعرفتنا ، امام ما لا نستطيع ان ننفذ اليه او نحوله ، اكثر مما هي كسب لمعرفتنا » (✻) .

وفي وسعنا ان نضيف ، الى ما قاله السيد الكيي ، بأن شعور الا نا — بذاته يتكون ، قبل كل شيء من الادراك . وعلى ذلك ، فالكائن « الهيد يجرى » يتحول الى ذات « ملقاة » ، في عالم يسحقها بثقله . لكن الطفل لا « يملك » كينونته البشرية مجانا ، انه يتوصل الى وعي « انا » بجهود يفرق بها ذا عن ذاك ، وكما يفرق بها الـ « انت » عن الـ « هو » و الـ « هؤلاء » . اذن ففي وسعنا القول ، مع السيد ميشوت ، (✻) بأن الادراك شيء اكثر من الاحساس . ان علينا ان ندرس الادراك، بالنسبة للنشاط ، لان الادراك هو نفسه نشاط وتكيف فهو لا يقتصر على خصائص فضائية وحركية حسية ، انه يشتمل على علاقات « وظيفية » تشكل نسيج مجال الادراك . اننا نتعلم ماهية الاشياء ،بعد ما نتعرف على ما تفعله هذه الاشياء : نفعل الاشياء . هو اساس « كينونتها » لذا كان علم النفس الصوري ، على حق ، عند ما ابرز ما للاحداث الشاملة من دينامية مباشرة .

فلا حقيقة لمدرك محض ، منعزل . ليس هناك الا حضور — مع (اي حضور مشترك) يكتسب منه كل واحد مزيدا من الوضوح بالانتباه الذي يوجه اليه ، اثناء عملية الادراك . هناك مجموعات ، هي في الواقع اسس تنفصل عنها الاجزاء وتبرز تبعا لضرورات تدعو هذا الجزء او ذاك في حين ان كل جزء ، من المجموع ، يفترض وجود الكل . ولذلك لا يسعنا ، خلافا لما يزعمه المثاليون ، التوصل الى معرفة الآخرين ، ابتداء من التجربة . ذلك لان المعرفة التجريبية للذات ، هي المعطى الدائم لمعرفة تجريبية للآخرين (والعكس بالعكس) فان كل تجربة للآخرين ، هي تجربة مباشرة للذات . ان حضور الآخرين يحدث في « الأنا » ما يحدثه المركز الجاذب (ملجأ ، او قوة دفع او ازعاج) انه حضور يعبر عن نفسه باصداء داخلية ، وبنداءات موجهة الى « الأنا » ، تدعوه الى اليقظة والنشاط . اما العالم الذي يملؤه الانا والنحن والآخرون ، بالقدر الذي تملؤه الاشياء ، فليس موضوعا املك قانونه التأسيسي، « انه الوسط الطبيعي ، ومجال افكاري كلها ، وكل مدركاتي الظاهرة (. . .) . ان الانسان في العالم ، لا يعرف نفسه الا في العالم » (✻) . لايدرك شيء ما ، الا وسط اشياء أخرى ، فهو دائما جزء من مجال (✻) .

ليس الوعي منغلقا على نفسه . لقد قيل ، بحق ، ان « الانا » هو أبعد شيء عن الانا . ففرويد يرى ، ان الآخرين موجودون في اعماقنا ، دون ان نشعر بهذا الوجود المرتبط بحياتنا الجنسية . وحينما انفذ الى اعمق اعماق ما اسميه « ذاتي » ، كما يقول دافيد هيوم، « فدائما اقع على ادراك ما » (✻) . ان فكرة تنتشي باكتفائها بذاتها ، وتتمتع بالوحدة ، تقضي على نفسها بالتفتت . والعقل ، كما يؤكد مونيي « لا يتعرف ، ولا يمارس وظيفته في العزلة ، شأنه شأن كل نشاط شخصي آخر . فاذا انطوى على نفسه ، الى ابعد حد ، لا يلبث حتى يتجه هاذيا في عالم مغلق ، عالم التفكير الاجتراري » (✻) .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

(✻ Merleau-Ponty, *Phénoménologie*, p. IV.

(✻ F. Alquié, Revue Internationale, n° 3, mars 1946.

(✻ Albert Michotte, *Perception de la comptabilité*, Louvain.

(✻ Merleau-Ponty, *Phénoménologie*, p. V.

(✻ ان مفهوم المجال هام جدا ، ولا سيما في السيكلوجيا الصورية (انظر ، مثلا ، دراسات Koffka)

(✻ D. Hume, *Traité de la nature humaine*, p. 330 (trad. Renouvier, Paris, 1878).

(✻ Mounier, *Traité du caractère*, p. 676.

نحو تحديد محتوى

ثقافتنا القومية

بين الماضي والحاضر

للاستاذ : محمد زنيبر

يوضع علينا مشكل ايجاد ثقافة قومية بقدر ما نشعر بنفسنا كشعب له روح جماعية ووعي جماعي وشخصية وطنية ذات ارادة وميول ومطامع ، فالثقافة القومية هي التي تستطيع ان تعبر عن محتوى تلك الروح الجماعية وعن محركات تلك الشخصية التي تجعل منا شعبا له مزاياه وملامحه الخاصة التي تعرف به وسط الشعوب .

عناصر المشكلة :

وقد اصبح هذا الموضوع ، منذ سنوات عديدة محط الانظار لدى حملة الاقلام في هاته البلاد ، وخصصت له اعداد ممتازة من مجلات مختلفة ، واتجه له الاهتمام بالخصوص في هذه الايام التي نحاول فيها خلق مغرب جديد ناهض .. والواقع انه موضوع الساعة في الاوساط الثقافية ، لان بلادنا لازال مظهرها الفكري والثقافي ، بصفة عامة ، في غير المستوى الذي يليق بها ، فلا البحث العلمي والادبي ، ولا تاليف الكتب ونشرها ، ولا الانتاج في ميدان الفنون الجميلة بصفة عامة ، مما يجعلنا حاليا في مقام التباهي والافتخار بين الدول .

وتلك حقيقة يجب ان نكون مقتنعين بها اذا اردنا ان نبني نهضتنا الثقافية على اسس متينة ، فمحاسبة النفس والنقد الذاتي هما خير ما نرتكز عليه في بداية العمل .

والنقد الذاتي ليس المراد منه هنا لطم الخدود والتحسر على ما فات ، وانما يعني ان ندرس ، من جهة ، الوضع الثقافي الذي نعيش فيه ، ومن جهة اخرى ، النظريات المختلفة التي تروج عند ناشئة الكتاب المغاربة في هذا الموضوع حتى نفحصها على ضوء حقائقنا الاجتماعية واهداف امتنا ونستخلص صحيحها من سقيمها ، فمن بين هذه النظريات ما جاء ارتجالا وبدون تفكير طويل ، بحيث كانت وليدة اندفاع يخشى معه الوقوع في كثير من المزالق ، ومن بينها نظريات تظهر صحيحة لاول وهلة ، ولكنها عندما توضع على محك النقد يفتضح تصدعها ، وهنالك نظريات لم تحاول ان تتفهم اهمية الموضوع وظلت تتدحرج وسط السطحيات ، وهنالك نظريات اخرى فيها الغث والسمين ، ودراسة كل هذه النظريات هي التي ستساعدنا على توضيح طريقنا واجتناب الهفوات والانحرافات في مفهوم المراد من ثقافتنا القومية .

وهنا تعترضنا مشكلة منهاجية : هل يجب ان ندرس ، اولا ، وضعنا الثقافي وما برز في شانه من نظريات مختلفة ؟ ام هل يجب البدء بتحديد المباديء الاساسية الماخوذة عن تجارب الامم وعلم الاجتماع لانارة الموضوع من كل جوانبه ، ثم العودة الى آراء كتابنا الناشئين لغربلتها والنظر اليها بالمقاييس الجديدة التي استخلصناها من دراستنا العامة ؟ .

والمشكلة الحقيقية انما هي شكلية ، فمهما كانت نقطة بدايتنا ، فسنصل الى حقيقة واحدة ، ولكنه يظهر من الافيد ان نبين ، اولا ، بعض المباديء والمفاهيم ونعرف بالاطار الذي يطرح فيه الموضوع .

الثقافة القومية لا تنبني على تراث الاجداد وحده ، بل ان عنصرها الحيوي يكمن في انتاج الجيل :

والموضوع يقتضي منا قبل كل شيء ، ان نوضح فكرتنا عن محتوى تلك الثقافة القومية حتى نجتنب

كثيرا من الأخطاء التي تقع فيها عند مرحلة البناء ، فكثير من الباحثين عندنا يظنون انهم حلوا المشكل حينما بينوا ان عناصر ثقافتنا المغربية موجودة وانها مشخصة في تراثنا المحلي من علم وادب وفن وفولكلور وتقاليد وما الى ذلك .

حقا ، ان لنا تراثا ثقافيا قد تجد فيه دواعي للفخر والاعتزاز ، ولكن ، هل معنى هذا ان لنا اليوم ثقافة قومية ، بكل معنى الكلمة ؟ ان هؤلاء الباحثين عندما نطلب منهم ان يدلونا على ثقافتنا الوطنية يكتفون في جوابهم بان يعرضوا علينا ما خلفه الاجداد ، ولكن ، هل تراث الاجداد ، مهما بلغت قيمته يملأ الفراغ العقلي الذي يعيش فيه مجتمعنا ؟ وهل حاجيات اجدادنا ، لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية المادية، هي حاجياتنا اليوم ؟ وهل مداركهم هي مداركنا ؟ .

اللهم الا اذا اعتبرنا الثقافة القومية كجسد ميت ينبغي ان ننبش عنه في القبور ، وحينئذ يحق لنا ان نتساءل هل وقفت ملكة التفكير والانتاج والاجتهاد في القرون المنصرمة ؟ وهل انحبست ينابيع الوحي والالهام عن ابناء جيلنا فاصبحوا لا يمكنهم ان يجدوا غذاءهم العقلي الا في ما تبقى لنا من آثار العصور الخوالي ؟

والجواب على هذه التساؤلات يظهر لنا في الحين بصورة تلقائية : اننا مهما عشنا مع آثار الماضي ومهما اعجبنا بمحاسنها ، فلن يغنينا ذلك عن الرجوع الى ما ينتجه ابناء جيلنا ، وقد يحدث للبعض ان يكرهوا عصرهم وينفروا منه ويفروا من مجتمعهم ليلتجئوا ولو بفكرهم الى عصور التاريخ الغابرة حيث يجدون انفسهم ، ولكن هذه العداوة التي يحملون لعصرهم تخلق لهم ، بالرغم عنهم ، رابطة قوية من الجيل الذي ينتمون اليه ، اننا مع مجتمعنا نعيش بالعقل والقلب معا ونجد انفسنا في موقف مزدوج متناقض ، موقف الحكم والخصم ، ولكننا مع اجيال الماضي ومجتمعاته لا نشعر الا برابطة هادئة وادعة ، رابطة تخلصت من حرارة الاهواء الجامحة وصارت كتلك الرابطة التي تجمع بين صديقين يعيش كل منهما في بلده ويتبادلان رسائل التعاطف والاخاء ، فنحن ننظر الى آثارهم بعين ملؤها الاعجاب والاكبار ، ولكن فيها ايضا شيء من التسامح والتجاوز ، مدركين ان العالم منذ عهدهم تطور وسار اشواطا بعيدة في طريق التقدم .

فالثقافة القومية لاتنحصر في تراث الماضي ، وانما هي ، قبل كل شيء ، كائن حي ، كائن ينمو ويتسع كل يوم بما ينضاف اليه من اكتشافات ومكاسب جديدة .

فهي من حيث الكم تضم مجموع الجهود الفردية التي يقوم بها الكتاب والفنانون والعلماء في بلد ما وعصر ما ، وهي من حيث المحتوى تعبر عن سائر التيارات المذهبية والجمالية التي تسري في المجتمع وتتصارع فيما بينها وتعكس في صور مختلفة مشاغل الجيل واهتماماته .

وهذا ما يتضح لنا ببعض الامثلة التاريخية .

مثال من تاريخ الحياة الفكرية في العصر العباسي :

لنقف ، مثلا ، في تاريخ العباسيين عند عهد المامون ، فسنجد ان مشكلة خلق القرآن اثارت في الراي العام ضجة كادت تؤول في بعض الاحيان الى فتنة ، وقد تسببت في اضطهاد عدد كبير من العلماء رفضوا ان يجاروا المامون في عقيدته فيقولوا بخلق القرآن ، ونشأ عن كل ذلك جدال ومناظرات لا زالت بعض آثارها في كتب التاريخ .

والملاحظ في شان هاته المشكلة ان لها جانبين : جانب عقلي وآخر عاطفي ، فالجانب العقلي هو الذي يتمثل في النقاش المحتدم الذي كان يملأ مجالس الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة ورجال الدولة ، حيث كان كل فريق يدافع عن فكرته بالحجج المختلفة ، معتقدا انها هي الحقيقة ، واما الجانب العاطفي فهو يتمثل في تلك المواقف الحماسية التي تظهر بها العامة عندما تريد الاعراب عن عقيدتها والدفاع عنها ، فالشعور الديني يغمر العقل في هذا المقام ويخلق قوة جماعية موجهة نحو غاية واحدة ، ولذلك فان هاته القضية كادت تخلق حربا مدنية .

ذلك نموذج من المشاكل الحية التي يكون لها اثر عميق في الحياة العقلية ، فمشكلة خلق القرآن بما احدثته من اصداء عاطفية وعقلية في المجتمع العربي استطاعت ان تخرج بالفكر العربي من طور الركود والجمود الى طور اليقظة والحركة وان تدفع بالعلماء النابهين الى البحث والتنقيب ، ومثل هذه المشاكل العامة التي تعرض في تاريخ الامم وتشغل الراي العام ،

سواء أكانت دينية أم سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية هي التي تمد الثقافة القومية بروح جديدة ودم جديد ، كما تساهم في تعميق شخصيتها وابراز ملامحها .

الا ان كل مشكلة من هذا النوع لها ارتباط وثيق بالعصر والمجتمع اللذين برزت فيهما ، فنحن ، حينما نريد ان نعيد لمشكلة خلق القرآن حياتها واهميتها في مجتمعنا ، نجد ذلك مستحيلا ، انها ماتت بالنسبة الينا واصبحت بعيدة كل البعد عن مشاغل ابناء جيلنا ولم تعد الا حادثا تاريخيا ننظر اليه من زاوية خاصة ، واذا ما نظرنا اليها من الناحية الفكرية ، فهي مشكلة فلسفية عادية تنظر اليها بمنظار العقل الهادىء الرصين .

فنحن ، في هذا العصر وفي مجتمعنا ، لنا ايضا مشاكلنا التي تشغلنا وتستفز اهواءنا وتثير الجدال الحاد في مختلف انديتنا ، وهي التي تواجهنا في حياتنا اليومية ، انها عنوان على التطور الذي حققناه منذ العصر العباسي وما تلاه من عصور ، انها مشاكلنا الطبيعية ، مشاكل جيلنا .

مثال من تاريخ الاداب المقارنة :

ولناخذ مثالا ثانيا من تاريخ آدابنا العربية ، ان الكاتب العربي الذي وقع الاجماع على تبريزه في فن النثر هو الجاحظ ، فلا زلنا الى اليوم نقرا الجاحظ بشوق متزايد ونستطيب بكيفية خاصة نثره العربي الصراح فهو ينقلنا من نكتة لاذعة الى نادرة غريبة ، الى عبارة رشيقة جذابة ويجعلنا رويدا رويدا ماخوذين لسحر ادبه الفياض .

ومع ذلك ، فنحن نقراه كما نقرا غيره من كتابنا القدامى بشيء من التحفظ الذهني : فنحن نضع الفكرة في جانب والعبارة في جانب آخر ، فالافكار والمعلومات التي يوردها الجاحظ لم تعد تهمنا لانها في غالب الاحيان لاتتناسب مع مستوانا الفكري اليوم ، واما التعبير ، فلا زال مفعوله قويا في نفوسنا

ولنسال نفوسنا ونحن نتصفح البيان والتبيين وكتاب الحيوان مثلا هل الذي يهمنا هو الافكار ام هو التعبير ، وهنالك ميدان بين فيه الجاحظ مهارته الا وهو التصوير كما يظهر ذلك من خلال صفحات البخيل ، والواقع ان الجاحظ عندما رسم لنا صورة بل صورا عن البخيل في عصره فقد خط لنا بريشته الخفيفة ملامح البخيل كما يظهر في كل زمان ومكان .

الا ان هذا لايعني ان تصوير البخيل قد انتهى عند حد الجاحظ ، بل ان تاريخ الاداب العالمية يبين ان الموضوع ظل معروضا باستمرار على اقلام الكتاب العباقرة ، فهذا « موليير » اتى بالعجب العجاب ، كما هو معلوم ، في روايته « البخيل » وكان مجددا مبدعا ، وسر نجاحه هو انه صور لنا البخيل كما كان يظهر في عصره اي في القرن السابع عشر بالمجتمع الفرنسي ، فبخيله ، وان كان صورة ازلية للبخيل ، مرتبط ، مع ذلك ، بوقت معين ومجتمع معين .

وياتي « بلزاك » بعد موليير بقرنين فيخط لنا في روايته « اوجيني جراندي » وجها جديدا للبخيل استوحى ملامحه من المجتمع الذي كان يعيش فيه ، ومن المعلوم ان بلزاك ركز طموحه في تصوير مجتمعه بما فيه من خير وشر ، ولكنه في الوقت الذي يقصر همه على تصوير مجتمعه يرتفع بنا ايضا ، وهذا سر عبقريته ، الى حيث نرى الانسان في مظاهره الازلية ، تلك المظاهر التي شغلت الفلاسفة والاخلاقيين والشعراء والكتاب منذ ان نطق سقراط بكلمته الشهيرة : « اعرف نفسك بنفسك » .

من هذا المثال الاخير الذي استقيناه من المقارنة بين الادب العربي والادب الفرنسي تتضح امامنا عدة حقائق :

1) ان الجاحظ كمفكر معتزلي وكعالم يلم بالثقافة العامة لعصره لايهمنا اليوم كما يهمنا الجاحظ الكاتب، الفنان ، المصور الذي ترك لنا لوحات من مشاهد لازالت تحتفظ بجدتها الى اليوم .

2) ان نجاح الجاحظ وغيره من الكتاب في ميدان تصوير الانسان يعزى الى كونهم لم يروا الانسان كفكرة مجردة عن الزمان والمكان ، بل انهم تناولوه كمخلوق من لحم ودم يعيش في زمان معين وبيئة معينة

3) ان الموضوع الواحد قد يعالج مرارا في عصورمختلفة دون ان ينضب معينه ودون ان يفقد طرافته وجاذبيته.

الثقافة بين الماضي والحاضر : النسبية الثقافية :

هذان المثالان المختلفان في نوعهما ، واللذان اخذنا اولهما من تاريخ الحياة الفكرية في العصر العباسي ، وثانيهما من تاريخ الادب المقارن ، يبينان لنا ان الثقافة

الحية هي تلك التي ترتبط بعصرها ومجتمعها لتتجاوب معهما وتعبر عنهما ، وليست هي التي تحاول ان تخرج عن الزمان والمكان ولا التي تريد الرجوع الى الماضي ، وتلك حقيقة اولية تساعدنا على توضيح المفهوم من الثقافة القومية ، ويمكن ان نبرز ، فى مجهود اول نحو تحديد تلك الثقافة ، النقطتين التاليتين :

اولا : ان الثقافة القومية تحتوي على عنصرين احدهما يربطنا بالماضي والآخر بالحاضر ، فعنصر الماضي يتمثل فى التراث الثقافي الذي يكون بالنسبة الينا احدى ركائزنا التاريخية الاساسية ، ولكنه عنصر تبقى له قيمة تاريخية وفكرية مجردة ولا يلعب اي دور مباشر فى حياتنا اليومية وفى مشاغل جيلنا ؛ واما عنصر الحاضر ، فهي الثقافة الحية ، الثقافة التي ينشئها الجيل وتتفاعل مع اهتماماته وآماله وآلامه وتوضح له حقائق العصر والمجتمع ، وفى هذا النطاق يظهر بالخصوص ابتكار العباقرة وغوص النبغاء ووثبات الاحرار ، ويتجلى التقدم الذي يحققه كل جيل ، وهكذا ، فان لكل من تراث الماضي وانتاج الحاضر دوره الخاص فى الحياة الثقافية لدى كل مجتمع ، وسنعود لهاته المسألة بشيء من التفصيل .

ثانيا : ان محتوى كل ثقافة قومية غير مستقر وهو فى تحول دائم تبعا لتطور المجتمع ، وهذا ما يجعل الافكار التي تغذيه او التي تتولد عنه ليست الا ذات قيمة نسبية ، فهنالك مشاكل وافكار كانت تحتل الطليعة فى عهد من العهود انتقلت فى وقت آخر الى المؤخرة ان لم تمت وتقبر بالمرة .

فمسالة نسبية القيمة الثقافية قلما يعيرها الباحثون عندنا ما هي جديرة به من الاهتمام ، مع ان هاته النسبية هي التي يمكننا بفضلها ان نميز بين العناصر الاساسية والعناصر الثانوية فى هذا الموضوع المتشعب .

وهكذا ، فان اولئك الباحثين حينما يريدون ان يحددوا ثقافتنا القومية ومحتواها يخلطون الماضي والحاضر بطريقة فوضوية ويتجاهلون عامل الزمان ، ولا يدخلون فى حسابهم كثيرا من الاحداث التاريخية العظيمة التي قلبت اتجاهنا راسا على عقب ، مثل اتصالنا العنيف والطويل باروبا وما نتج عن ذلك من تحولات جذرية فى مجتمعنا وحياتنا اليومية وسائر مفاهيمنا .

وعلى اساس هذين النقطتين اللتين استخلصناهما من التحليل السالف ، يمكننا ان نشرع فى البحث عن محتوى ثقافتنا القومية .

يتبع

سلا — محمد زنيبر





ما هي مظاهر التطور الاجتماعي بالمغرب ؟ ما هي الحقائق التي يقوم عليها ؟ والعوامل التي تتحكم في بعثه وتوجيهه ؟ وما طبيعة المشاكل والقضايا التي يثيرها ذلك ؟ كيف يمكن اجتناب التناقضات التي تثار في هذا الشأن؟ وما حظ المغرب في هذا المضمار ؟

التحول الاجتماعي العام في المغرب ، ظاهرة اساسية واضحة ، نلمس آثارها في مختلف جوانب حياتنا الوطنية المعاصرة ، وذلك بشكل واسع ليس هناك مجال لنكران اهميته وعمق مدلولاته ، ومن غير شك ، فان الظروف العامة التي تحيط بهذا التحول ، والعوامل التي تتحكم في خلقه وتوجيهه ، والنتائج المنبثقة عنه في الامد القريب والبعيد ، كل ذلك يجب ان يعطي له صبغة جذرية مثيرة ، ويساعد على تقديره حق قدره ، كأبرز ما يتميز به تاريخ المغرب الحديث . والمظاهر التي يتمثل فيها واقع التطور المغربي الحاضر ، هي من التكاثر والتعدد بدرجة كبيرة وملحوظة ، وتمتد – كما راينا – على مختلف مناحي الحياة الشعبية والخاصة ، سواء في هذا القطاع او ذاك من قطاعات البلاد المختلفة ، او هذه الجماعة او تلك من عناصر المجتمع المغربي الراهن .

ومن الجائز ان نبلور هذه المظاهر من التحول الاجتماعي المغربي ونركزها في صورتين رئيسيتين :

1) تطور الاوضاع الطبقية القديمة وبروز الكثير من حالات التغير الجذري العميق في هذا الميدان.

2) ازدياد عوامل الوعي الفكري الاجتماعي ، وتأثير كل ذلك على مستوى الحياة العامة بالمغرب ،

ففي نطاق الحقيقة الاولى نلاحظ جملة من الظواهر الاجتماعية الهامة لم تزل تتوارد باستمرار ، على صعيد الحياة العامة بهذا البلد ، فالمجتمع الزراعي المغربي قد اخذ يطل على دنيا جديدة من التصنيع والتجهيز ، وبدا – بالنتيجة لذلك – قسم هام من هذا المجتمع يتحول الى طبقة اجتماعية جديدة ، قوامها العمال والمهنيون الصناعيون ، وفي ذات الوقت تجتاح موجة كاسحة اخرى بقايا التقاليد الزراعية الاولى في عدد محدود من المناطق ، حيث بدات الآلية والتقنية تسيطر بالتدريج على مناهج الانتاج الفلاحي عند هؤلاء او اولئك ، وبدات تتكون معها عناصر عقلية جديدة ، اكثر ايجابية وتحررية ، وبقدر ما بدات عوامل التحول هكذا تمارس تأثيراتها على بعض مجالات الحياة في القرى والارياف ، بقدر ما يشتد تأثير هذه العوامل ايضا على حياة السكان بالمدن والعواصم الكبرى التي تزداد اكتظاظا بالسكان ، نتيجة ارتفاع نسبة الولادات والهجرة الريفية المتواصلة ، اما النتائج المنبثقة عن ذلك ، فتبدو في مظاهر عدة واساسية ، من بينها ما يتمثل في اتجاه الارستوقراطية التقليدية ، الى محاولة التلاؤم مع طراز المدنية الحديثة اندفاعا وتحولا ، وما يبدو

كذلك من نزوع البورجوازية القديمة الى الانفصال عن كثير من المفاهيم والمعقولات التي كانت ذات اساس فعال في مجال حياتها العامة ، واكثر من ذلك كله واهم : ازدياد الاحتكاك بين عموم الجماهير الشعبية من جهة ، وبين مكيفات العقلية الاجتماعية الحديثة من جهة اخرى ، الامر الذي يساهم بدون انقطاع في تعديل مناهج الحياة الاجتماعية بالحواضر المختلفة . ويكاد يؤدي في الامد الطويل الى تغيير هذه المناهج ، وتطويرها تطويرا جذريا حاسما .

اما في اطار الحقيقة الثانية ، حقيقة الوعي الشعبي المتزايد باستمرار ، فانه من الميسور للمراقب ان يلاحظ في هذا الشأن كثيرا من المظاهر الهامة التي لها دلالتها في الموضوع ، ومن بين هذه المظاهر ما يتصل بازدياد النزوع الى التطور الطبقي ــ الاجتماعي عن طريق التعلم ، واكتساب المعرفة ، وذلك ما يتبين لنا من ظاهرة الاقبال الشديد على المدارس والمعاهد المختلفة ، هذا الاقبال الذي ما فتيء يرتفع بعد الاستقلال ، ويتصاعد تصاعدا مثيرا ومعجبا ، ومن هذه المظاهر ايضا ما يتمثل في ارتكاز الوعي الصحي بين الطبقات الشعبية ، واشتداد الميل عند الفرد الى مراقبة التطورت المرضية التي قد تقع له ، بل واتخاذ الاحتياطات الوقائية ، من سلبية وايجابية ــ المتعلقة بكل ذلك مما يقتضيه المقام ، هذا الى مزيد من التأثر بالافكار الاجتماعية الليبرالية المتصلة بمستوى العيش ، والضمان المتبادل ، وحقوق المواطنة ، والواجبات المترتبة عنها وغير ذلك مما له صلة بوضعية الفرد والاسرة داخل اي مجتمع حديث ناهض ومتطور ، وبالطبع فان هذه المظاهر لا تشكل بالذات حقيقة تطور حاسم ، متكامل العناصر والنتائج بصورة كافية ، ولكنها تعكس ــ على اي حال ــ واقعا اجتماعيا متحولا له ــ كما ذكرنا ــ اهميته وخطره في المدى البعيد والقريب ، ولكن الى اين يتجههذا التطور الذي تتحكم فيهولاشك حتمية التاريخ ، وتفاعلات الحياة العالمية الحاضرة ، واستعدادات المجتمع المغربي الطبيعية ؟ . وفي هذا المجال يكون علينا ان نتساءل من جانب ءاخر : هل لحركات التطور دائما من هدف نهائي وحاسم ، تقصد اليه وتتوقف عنده ؟ بالطبع لا ، فالتطور تطور ، ولا يمكن ان يتجمد على حالة معينة ، مهما كانت المقتضيات التي توجب ذلك ، ولهذا فانه لا يبدو من الطبيعي ان تكون هناك حدود تتضاءل عندها دينامية التطور ، او يعتبر بالنسبة اليها قد استنفذ طاقاته واندفاعاته ، لكن هناك مع ذلك مراحل واشواطا تجتازها حركة التحول عند الامم الناشئة المتطورة ، بل ان هناك ايضا اهدافا قريبة وبعيدة ؛ تتبناها الامم من هذا النوع ، وتتوخى الوصول اليها ــ ولو ان هذه الاهداف لا يجوز ان تعتبر ــ في اي حال ــ اهدافا نهائية يصبح التجمد بعدها شيئا ممكنا ومعقولا ، وغني عن البيان ان الاهداف ذات المدى البعيد هي بالضرورة اهداف كبيرة وعملاقة ليس التوصل اليها ــ بصورة حقيقية ــ شيئا بسيطا وميسور المنال ، والحالات التي تتوخى من هذه الاهداف هي ــ في الغالب ــ حالات مثالية متسامية ، تنصب في مجموعها على محاولة تكوين المجتمع الصالح، الذي لا يجد فيه المرء مجالا للخوف من جهل او فقر او مرض ، وتتوافر فيه الفرص المتكافئة للكل ، في ظلال من روح الانسانية والاخوة والسلام ؛ وفي نطاق المحبة والتضامن والتكافل ، اما الاهدف القريبة الآنية فهي هذه التي تقتفيها الامم ، كل الامم للتوصل الى تحقيق حالات مثالية من هذا القبيل ، انها تتمثل في الحركات الاجتماعية المتتالية ، المتركزة على مبدا التجديد والنمو ، والمتبلورة في مظاهر تطورية مختلفة، كالتي تتراءى من خلال الواقع الاجتماعي الذي نعيشه وفي نطاق ذلك ، فان عوامل التطور ــ على العموم ــ تتداخل في بعضها البعض ، وتتفاعل تفاعلا مستمرا، يبدو ــ احيانا ــ على درجة من التشابك والتعقيد ، فالتحول الاجتماعي يتخذ في كثير من الحالات ، صورة تطور فكري ومعيشي وسلوكي وغيره ، على اختلاف النسب والمستويات ، وعلى هذا فان لارتفاع المستوى التعليمي والاقتصادي صلة كبيرة بحالات التقدم الاجتماعي في بعض الصور على الاقل ، كما ان هذا التقدم الاجتماعي نفسه ، يؤدي في الغالب الاعم ، الى كثير من الاقبال على موارد التطور الفكري والاقتصادي بصورة متوازية ومطردة ، والحال في مجتمعنا الحاضر يمثل نوعا من الانسجام مع هذه القاعدة ، وذلك من حيث جانب التداخل بين حالات التطور الاقتصادي والاجتماعي ، وبصورة اقل من حيث ارتباط هذين الجانبين ، بواقع التطور الفكري الذي هو اقل الجوانب بروزا في هذا البلد ، ولا يعنينا ــ في هذا المضمار ــ تتبع ظاهرة التخلف الفكري عندنا وتأخرها من مجالات التطور المجتمعي والاقتصادي في وضعنا الراهن ، فقد استلفتت هذه الظاهرة الكثير من اهتمام الباحثين من قبل ، ــ وكان لها دائما من استقصاءاتهم وتمحيصاتهم الشيء الكثير ، الا ان الذي يهمنا الآن في هذا الموطن هو النظر خاصة في

اتجاهات التطور الاجتماعي بالمغرب ، وما يخلقه ذلك من مسائل وقضايا غير بسيطة ، سواء على الصعيد المبدئي البحت ، أو من حيث الواقع القائم بالفعل .
فقد انقضى وقت غير قصير ، منذ ان بدا مجتمعنا التقليدي يطل بالفعل على آفاق الحياة الدينامية المعاصرة ، ويرتبط بمعطياتها ارتباطا يمتد احيانا ويضعف اخرى بحسب الصور والحالات ، ويوجد البلد الآن – وهو يكاد يكون – باعتبار كثير من المظاهر الماثلة – يكاد يكون من بين دول العالم الثالث الاكثر تطورا من الناحية الاقتصادية والتجهيزية والاجتماعية ايضا ، غير ان هناك – في مجال التعرض لهذه الحقائق – اساسا صحيحا لملاحظة بعض الظواهر العامة التي تثير الاهتمام وتدعو المرء الى استعراض بعض التساؤلات في الموضوع ، وعلى ذلك ، فما هي العوامل العامة التي تتحكم في سير التطور الاجتماعي عندنا بهذا البلد ؟ ثم ما هي النتائج الكبرى التي يمكن ان يؤدي اليها هذا التطور ؟ وماذا يجب ان يكون عليه الامر في هذا المجال – وذلك على ضوء المثاليات المبدئية التي ندين لها ، ولا نتاخر عن تاكيدها في جميع الظروف والمناسبات .

ان الحقيقة الاساسية في هذا الصدد – هي ان التطورات المتلاحقة التي يعرفها مجتمعنا المعاصر هذه التطورات تخضع – كغيرها من مختلف الظواهر الاجتماعية في العالم – لجملة من المؤثرات العامة والخاصة ، التي تختلف عن بعضها البعض ، من حيث الاهمية والمفعول ، وهذه المؤثرات تعود – في الدرجة الاولى – كما قدمنا – الى التضافر الحاصل منذ عقود من السنين – بين استعداداتنا الفطرية والذاتية وبين تيارات التحول العام الشامل الذي ما انفك يجتاح مختلف أرجاء العالم ، على أن هناك – من جانب آخر – حقيقة اساسية وملحوظة لها اكثر من اعتبار في هذا المقام ، وهي ان التفاعل هذا بين استعداداتنا ووجهاتنا الطبيعية من ناحية ، وبين واقع العالم الحديث من ناحية اخرى .. هذا المجال المتهيء من التفاعل والحاصل بالطبع على صور مختلفة وواسعة مما نعيشه الآن .. لم يكن له – مع ذلك – ليؤثر كل هذا التاثير الراديكالي على صورة حياتنا العامة الحالية لو لم تكن هناك « مستفزات » اخرى هامة – ولو انها فرعية – لم تفتا تحدث الكثير من التاثيرات في هذا المجال ، ومن بين هذه « المستفزات » مثلا قيام حالات خاصة من التنبه وتركز الوعي ، ناشئة في عمومها عن ظروف الحرب العالمية الثانية ، والاتصالات الانسانية الواسعة التي حتمتها ملابسات هذه الحرب ، والانجرافات الفكرية العالمية التي كان من اللازم ان تحدثها على نحو او آخر ، ومن بين « المستفزات » كذلك ظهور بعض الاصلاحيين التطوريين في فترة « اتجاه » حاسمة واساسية من تاريخ البلد ونجاحهم في اصطناع ظروف معينة لتسهيل بل وتعزيز اندفاعية التحول الحتمي، ثم توافر كثير من الامكانيات لهم لتحقيق قدر من التجاوب والتصادي في هذا المضمار مع عموم الجماهير والكتل الشعبية ، وذلك ضمن نطاق يتضاءل تارة ويتسع اخرى ، وفي مجالات تتراوح بين السطحية التامة والنسبية ، وبين العمق والتركيز على مستويات مختلفة وحسب الاحوال والمقتضيات والاستعداد ويتصل بكل هذا ، ما كان حاصلا دائما في الاذهان من ارتباط جذري بين مفهوم التحرر القومي من جهة ، والتطور الاجتماعي عند عموم الشعب من جهة اخرى الامر الذي كان من نتائجه الملحوظة ان عاشت الحركة الوطنية – وخاصة منذ تطورها الحاسم اواخر سنة 1943 – عاشت عددا من التجارب التطورية الاساسية المتلاحقة – سواء في نطاق التوجيه الفكري او الاجتماعي او غيره ، مما يمكن ان يعتبر نواة حقيقية لثورتنا التطورية التي نجتازها الآن ، وهناك غير هذا وذاك من المؤثرات المختلفة التي حدث كثيرا ان كان لها سهم فعال في ايقاظ بوادر التحول العام في وضعنا الاجتماعي الحديث – وان كان من غير السهل – حقا – تحديد نسبة الفاعلية في عموم هذه المؤثرات ، وقياس درجات اهميتها المتفاوتة في هذا المجال وذلك بصورة دقيقة ومضبوطة جدا .

وعلى اي فاننا نوجد الآن بالفعل ، في خضم تجربتنا الجوهرية الحيوية : تجربتنا التطورية الاستقلالية التي نحياها اليوم جميعا ، والتي هي – بالبداهة – على مستوى عال من التشعب والتعقيد في مختلف الميادين، والتجربة الاستقلالية هذه – تمتد طبعا – على آفاق عديدة ومترامية ، والصبغة التي تكتسيها بصورة واسعة – لا يمكن ان تقارن – مطلقا – مع جملة التجارب والمحاولات التطورية القديمة الواقعة قبل سنة 1955 تلك المحاولات التي كانت تبلور واقع طموحنا ، ومدى احساسنا بقيمة الايجابية الهادفة ، وعمق نزوعاتنا الى التكيف والتلاؤم ، ولكنها – مع ذلك – لم تكن تحملنا من المسؤولية التاريخية والعالمية ما تحمله الآن ، ولم تكن تتغلغل اساسيا في تحديد مواقفنا الحاسمة بمثل ما تحدثه في الوقت

الحاضر ، انه لا مجال اذن للمقارنة بين مجرد حالات الشوق الى التطور ، وبذل بعض المحاولات المقيدة المحدودة في هذا السبيل ، وتحقيق بعض النجاحات الاولية في ذلك ، ولكن بصورة غير ملزمة قابلة للتجاوز عنها عند الخطا او الفشل ــ وهذا واقع الحال قبل سنة 1955 ــ لا مجال للمقارنة بين ذلك ، وبين ما نلتزم به الآن ــ وبصورة حيوية ــ نحو مبدا التطوير التحرري المستقل ، وتقيدنا بالخطط والمناهج التي نتخذها في هذا الشأن ، وتحكم ذلك في تحديد اوضاعنا واتجاهنا ، ومقدراتنا الايجابية او مزالقنا السلبية وذلك لامد طويل ، وربما لاجيال عديدة مقبلة ، الامر الذي يضفي قدرا من خطورة الشأن على اساليب عملنا الحاضر ، ويذهب بتصرفاتنا ، ومواطن نجاحنا او اخفاقنا الراهنة ، يذهب بذلك في الاهمية الى مدى جد بعيد .

وعلى العموم ــ وبالنظر لطبيعة الاوضاع التي تكتنف تطوراتنا المرحلية الحاضرة ، فان هناك ظاهرة مهمة ، يمكن ان نلاحظ في هذا المضمار ، وبكل بساطة ويسر ، والظاهرة هذه تتمثل في ظهور بعض بوادر الاحتكاك الايديولوجي الاجتماعي ــ ضمن نطاق تطورنا الحاسم في عهد الاستقلال ــ ومنذ بداية هذا العهد بالذات ثم امتزاج ذلك بتعقيدات السياسة والاتجاهات السياسية ، والمتاثرة بهذه النظرة او تلك او هذا المذهب او ذاك ، على انه ــ بالرغم عن بعض الظواهر السطحية ــ فاننا ــ مع ذلك ــ لا نستطيع جديا ان نرى من خلال الاحتكاك الفكري الاجتماعي الموجود ما يوذن بامكانية وقوع حالات صراعية حقيقية على الصعيد الاجتماعي المغربي ، او ما يساعد على الجزم بان احتمالات التصادم القاسي في هذا المجال هي احتمالات يقينية محتومة ، فهناك الكثير من الاعتبارات والحقائق لا تبيح الاعتقاد في حتمية نشوء احوال من هذا القبيل ــ على الرغم من ان ذلك قد حصل كثيرا ولا يزال يحصل باستمرار في عدد من الاقطار الاخرى بالعالم ، غير انه من جانب آخر ــ ومع تقدير امكانيات التعايش بين اندفاعات التطور واعتبارات السلام في مجتمعنا ، الا ان ذلك لا يمكن ان يحول دون توسع الاحتكاك الفكري الاجتماعي بالمغرب ، وتطور الاسس العقائدية ــ في نطاقها البسيط او المعقد ــ التي ينهض عليها التحول الاجتماعي بمجموعه وتلك مسلمة ليس من داع الى الجدال فيها ، لانها تشكل مظهرا واضحا من مظاهر الحياة الواقعية التي نحياها ، ونؤثر فيها ، ونتاثر بها على مختلف الدرجات والمستويات على انه اذا كانت دواعي التطور تجري هكذا ــ وبصورة جذرية ــ ودون ان يكون هناك من ضرورة لان تصحبها ــ بحمد الله ــ جملة الملابسات التشاحنية والمظاهر التصادمية التي ترافق عادة كثيرا من الحالات من هذا القبيل ــ اذا كان الامر بهذه الصورة ويستجيب في عمومه لمثل هذه الحقائق ، فانه ليس لنا الا ان نقدر ذلك ، ونعتبره على اساسه الصحيح اي بما يعكسه من وجود بعض الامكانيات الايجابية عند مجتمعنا سواء على الصعيد الفكري او الوجداني ، او ما يتصل بذلك ، وهذه الامكانيات المتمثلة في توافر الرصيد الروحي عند مجتمع من المجتمعات وتاثير ذلك في اضعاف قابلية التاثر بالعوامل السلبية العقيمة عنده ، كالتصارع الانتقامي ، والتحيز الطبقي الاعمى ، وما الى ذلك ــ ان مثل هذه الامكانيات تساعد في كثير من الحالات ، على تلافي حدوث توترات اجتماعية حادة ، من هذا النوع الا انها لا تستطيع بتاتا ــ بالطبع ــ ان تغني ــ عن خطوات الاصلاح والتطوير ، الهادفة الى اقصاء هذه التوترات وتصفية دواعيها من القاعدة ، ولكل ذلك كانت الامكانيات المعنوية غير كافية بمفردها لاي مجتمع لكي يستطيع الاحتفاظ بتوازنه السلمي لامد طويل ، فالتطور الاجتماعي المادي سيبقى دائما وسيلة اساسية وضرورية في هذا المجال ، الا ان توافر المقومات المعنوية بصورة فعالة ، يعين بدوره على تركيز مضمون السلام في هذا التطور ، و « يميع » عناصر التصلب الذي قد يرافقه و « يتمظهر » به ، ويلطف بذلك من حدة الاحتكاكات بل والتصادمات التي قد يقتضيها كل ذلك ، على صورة من الصور ، وهذا شيء ليس من سبيل الى تجاهل اهميته واعتباره .

ولنا ان نتساءل من جديد : ماذا يمكن ان تكون عليه النتائج الكبرى التي من الطبيعي ان يؤدي اليها التطور الحاصل ؟ وكيف يجب ان تكون هذه النتائج باعتبار ما لدينا من قيم ومثل نحرص على الاستمساك بها في جميع الظروف والحالات ؟

ان نظرة بسيطة على واقع الاحوال التطورية الحاضرة ، تدل بكل بساطة على ان ثمة اتجاهات قوية كاسحة تقودنا ــ كما تقود غيرنا من جميع امم العالم ــ الى الارتماء بين احضان التقنية والتخطيط والتقنين والتصنيف سواء في نطاق الحياة الانتاجية او التوزيعية ، او الاستهلاكية او التقديرية ، وسواء ايضا

فيما يتصل بعوامل نمو المجتمع ، ومظاهر حياة الافراد او الطبقات ، وتقلبات احوالهم وتصاريف امورهم ، سواء على هذا الصعيد أو ذاك او بالاستناد الى هذه القاعدة او تلك ، وغني عن البيان ان مجموع الظواهر الماثلة ـ بهذا الصدد ـ تتلاقى جميعها لتؤكد بوضوح ، ان التطور الاجتماعي في بلادنا قد غدا مرتبطا اكثر فاكثر ـ وعلى درجات تقوى او تضعف ـ بعوامل العصرية والتجديد الذي تتميز به مفاهيم المدنية الحاضرة ، وهذه حقيقة هامة من المعقول ان تبعث اي شخص على التفاؤل وتوحي ـ مبدئيا ـ بمشاعر ايجابية حافزة سواء على اساس اعتبار او آخر ، غير ان هناك ـ الى جانب هذه المعطيات التي تتصل بالموضوع ـ هناك حقيقة بسيطة ، بل بديهية وهي اننا ننتسب ـ كما هو معروف ـ الى مرحلة حضارية انسانية من اعرق ما عرفه الانسان من حضارات ، ومن اوسعها اصالة وتقدمية وابداعا ، ووجودنا متميزين بهذه الصفة الاساسية البارزة ، اعتبارنا بمقتضاها كعامل ايجابي وتقدمي في موكب التطور الانساني خلال مراحله القديمة ، كل ذلك من شانه ان يضع على كواهلنا عددا كبيرا من الالتزامات الثقيلة التي لا نستطيع عنها انفكاكا ، والالتزامات هذه ، تعود الينا على درجة واحدة سواء فيما يتصل بواجبنا نحو انفسنا بالذات ، او فيما له علاقة بواجباتنا نحو الآخرين في العالم ، فنحن مسؤولون عن هذا الهيكل الحضاري الضخم الذي اقمناه من قبل ، والذي يقتضينا الحال مراجعته من جديد ، واستقصاء عناصر الايجابية الانسانية في مكامنه ، ومحاولة الاسهام في تقدم العالم عن طريق العمل على تطوير هذه العناصر ، والاستفادة منها في توسيع نطاق الثروة الحضارية الراهنة ، ونحن مسؤولون ايضا عن اتجاهات الموقف التاريخي الحاسم الذي نقفه الآن ، ونشمر على اساسه في مجال التفاعل مع العالم ، والتجاوب مع مقتضيات الحياة الحديثة ، ومسؤولون كذلك عن دورنا في العمل على تلافي المحذورات الاخلاقية والروحية التي تزخر بها هذه الحياة بكل ما لها من جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ونفسانية وغيرها .

نحن مسؤولون اذن ، وعلى اعلى مستوى تبلغه المسؤولية عند امة من الامم ؛ التي تطمح لان تصبح امة طلائعية رائدة ، وخاصة في عالم كعالمنا المعاصر ، تنزع فيه الدول والتكتلات الدولية المختلفة ، الى أن يصبح كل منها في مستوى الطليعة الرائدة ، وهذا ما يضفي على ثورتنا التطورية الحالية ، اهميتها البالغة الملحوظة ، ويربط بين نزوعنا التطوري هذا ؛ وبين ما يقتضيه الواجب من احياء لقيمنا الحضارية التليدة ، وتوسيع لمدى فاعلية هذه القيم : وتركيز اساسات لها في خضم العصر النووي هذا الذي نعيشه ، على ان القضية التي تبقى ـ على اي حال ـ قائمة في هذا المضمار هي على الاخص قضية الجانب الانساني من ثورتنا التطورية الحالية .. هذا الجانب الذي لا يقاس بالطبع بالجوانب الاخرى من آلية وانتاجية وغيرها.. لانه اشد منها تشعبا وتعقيدا ؛ ولانه يفوقها من حيث ما يحمله من التزامات حاسمة سواء على الصعيد التاريخي ، او غيره ، ولانه اخيرا يستقطب كل ما عداه من هذه الجوانب الاخرى ويجعلها تدور حول محوره وتنصب في بؤرته بصورة مركزة ، والجانب الانساني هذا يتمثل في مشكلة التوفيق بين تطور الفرد او الجماعة عن طريق التداخل في منهج الحياة عند هذا او اولئك ومحاولة تعديل الصورة الخارجية لهذه الحياة ، بما يدخل في نطاق ذلك من مؤثرات فكرية او آلية او تنظيمية او غيرها ، التوفيق بين كل هذا وبين ما يقتضيه الحال من حفاظ على المقومات الانسانية الاصيلة ، واستمساك بقيم او مأثورات قديمة ولكن عظيمة القدر ذات اساس تقدمي صحيح الى غير هذا وذاك مما يتصل باوجه التناقض الممكنة احيانا بين طفرة التطور الحاضر ، والارتباط بالماضي في اعمق موروثاته اصالة وايجابية وانسانية والازمة العالمية الحاضرة تعود في بعض اعتباراتها الى تأثير هذه القضية بالذات ؛ قضية الانسان وانفعالاته بالتطور العالمي الراهن ، والمشاكل النفسانية والفكرية والتاريخية التي تخلقها طبيعة هذا التطور واتجاهه على وجه من الوجوه ، غير انه من اللازم ان نلاحظ بان وجه المشكلة على هذا النحو يبدو على اكثر ما يكون حدة واشتدادا خاصة بالنسبة الى الاقطار المتقدمة التي ترتاد افاق التطور العام في عالمنا المعاصر ، اما في الاقطار المتخلفة فان المشكلة ـ على صعيدها ـ تبدو ـ بهذا الصدد ـ على وجه يختلف في بعض السمات واللمحات وتتجلى القضية على هذا الاساس ـ في تأثر الحضارات القديمة الخاصة بهذه الاقطار ، وكسوف مظاهرها بالتدريج امام الانطلاقات الاشعاعية الباهرة للمدنية الحديثة ، وقد اثارت هذه الظاهرة بالفعل ـ وما يرتبط بها من افاق واحتمالات ـ اثارت ـ في مناسبات عدة كثيرا من الجدل وتعددت الآراء حولها ووجهات النظر في موضوعها تبعا لتعدد

المشارب الفكرية واختلافها ، الا ان هناك احساسا قويا – يعم بعض رجال الفكر الاوربي انفسهم – بان هذا النوع من التطور الاجتماعي الانساني الذي يكاد يوحد بين مختلف صور الحياة واساليبها والوانها واوجه التصرف فيها عند مختلف الشعوب والامم ، ويكاد يؤدي – بالتالي الى اذابة المظاهر الاجتماعية المنبثقة عن الحضارات العريقة بالعالم وصهر كل ذلك في بوتقة المدنية الحالية ، ان هناك شعورا حقيقيا بان مثل هذه الظواهر ، ليس من شانها فيما اذا اتسع نطاقها بصورة كبيرة جدا ان تساهم في انماء التراث الانساني العام، او تمده بمزيد من عناصر الوفر والثراء ، بل ان الامر على العكس من ذلك يؤدي حتميا الى نوع من الاختزال للجهود الابداعية التي حققها الانسان على مر الدهور ، ويعين على تقليص افق الحياة العالمية ، في مستواها الحضاري بمفهومه الواسع المتنوع .

ويتميز المغرب – في هذا المضمار بانه لا يزال يعتبر – الى حد ما – من بين الاقطار التي لم تستطع موجات التطور العالمي الراهن ، ان تعفي على الجوانب الايجابية في كيانه الحضاري القديم ، على ان التطور الاجتماعي عندنا كما في اغلبية الاقطار العربية والاسلامية يسير سيرا ديناميا كاسحا ، وعلى مختلف الابعاد والمستويات ، ومن غير شك فان التزام المحافظة المتشددة من شانها ان تتسبب احيانا في اعاقة مثل هذه الحالات من التطور الراديكالي الحاسم ، كما ان التحررية المجردة ، بكل ما تقتضيه من تخفف من موروثات الماضي وتزود بمآثر الحاضر ، والتزام اكثر لآفاق المستقبل مثل هذه التحررية يمكن ان تؤدي – بالتالي – الى حالات تفقد معها قوة المحافظة كل فاعليتها الاساسية ، ويفضي الامر بالتالي الى نوع من الانفصام الحاد عن مظاهر الماضي بما فيها من ايجابيته ومؤثراته ومثالياته ، بما لها من قيمة وعظيم شان ، وهذا وجه اساسي من وجوه المشكلة – كما يجابهها كل مجتمع نام يرتبط بالماضي باوثق الصلات الحضارية العتيقة وتحدوه في نفس الوقت بواعث التطور المشروع الحافز الى الاندماج في كيان الحاضر ، على قواعد جوهرية وجد عميقة ، واذا كنا قد ركزنا النظر – في هذا الحديث – حول الحياة الاجتماعية ، واعتبرنا الموضوع يتعلق بالجانب الاجتماعي من حركة التطور الحديث بالمغرب ، فذلك لان هذا التطور – وان كان يتصل بكل جوانب الحياة التي يرتبط بها الفرد او المجموع سواء منها ما كان علميا او تقنيا او تطبيقيا أو فلسفيا ايضا – ان كان هذا التطور يتصل بكل هذه الجوانب – فانه في نفس الوقت يستقطبها كلها جميعا حيث تتبلور نتائجها في مجال اساسي واحد : المجال الاجتماعي الانساني الذي يمكن ان نعده – في هذا المضمار مرآة حقيقية لكل الاحوال التي يمكن ملاحظتها ضمن نطاق هذا الاعتبار .

والميزة القصوى التي تتوافر لشعب من الشعوب في هذا المجال – يجب ان تساعده – بصورة رئيسية على النجاح في التوفيق بين هذه المتناقضات العارضة ، وذلك في اطار عقلاني سليم تتلاءم فيه الاعتبارات المختلفة تلاؤما ايجابيا مثمرا ، وتسير فيه حركة التطور متجذرة اصولها في اعماق الماضي والحاضر على السواء ، ومستمدة من روح المحافظة المستنيرة ، والتحررية الهادفة والخلق التقدمي البناء .

ان القضية اذن – على هذا الاساس – ليست قضية محافظة او تقدمية ، يمينية او يسارية ، بقدر ما هي – في نطاق اشمل واهم ، قضية تحكم في بواعث التطور ونتائجه ، والتزام للمثاليات الاساسية التي يجب ان تكون حافزا له ، واستمساك بمبدا التوفيق بين مواطن التضارب والتناقض في اصوله ومظاهره، وارتباط بالانسان على امتداد اتجاهاته الى حياة افضل في اطار التكافؤ والتعايش .

ومن اليسير ملاحظة الظواهر القائمة عندنا ، والتي يمكن ان تتضافر بمجموعها على التأكيد بان خطوات المغرب التطورية الاجتماعية الراهنة ، تلتقي مع كثير من الاعتبارات من هذا القبيل ، الا انه سيبقى من الضروري دائما لاية اتجاهات تطورية حاسمة – على الصعيد الاجتماعي – من مثلما يشاهده المغرب وغيره من الاقطار النامية – من الضروري لمثل هذه الحركات ان تندمج بصورة اعمق في محيط الالتزامات التي تخط لها حدود السير ومداه ، وذلك كلما ازدادت نموا واتساعا وتوغلا ، وهذه حقيقة بديهية واضحة ، ولعلها من البساطة بمكان كبير ، ولكن لها – مع ذلك – من الاهمية – في هذا المجال – قدرا عظيما وغير محدود .

سلا – المهدي البرجالي

لغة المغرب العربية

للأستاذ : عبد الله الكتاني

لا يحسبن القارىء مقالي هذا بحثا علميا فى اللهجات واللغات ، ولا تحليلا للاصوات والنبرات ومدلولاتها واختلافها باختلاف المناطق والاجواء ، ولا دراسة اجتماعية لتأثير البيئة والمحيط والناس والعادات والتقاليد فى اللهجات واللغات والاصوات والنبرات ، كما يفعل اللغويون من العلماء فى هذا العصر ، وانما هي نظرات وخواطر قد تصلح لتكون اساسا لهذه الدراسة الاجتماعية وذلك البحث العلمي التحليلي .

فالمغرب منذ الفتح الاسلامي ، واستقرار امر الدولة فيه ، هجر ، عن طواعية واختيار ، لغته « الام » او لغاته « الام » ليتخذ من لغة الفاتحين لغة « وحدته » الجديدة ، ورمز « دولته » الناشئة ، ولا ندري باية سرعة سريعة فشت لغة العرب فى هذه الاقوام البربرية حتى استطاعت – فى وقت قصير من الزمن – ان تفهم عن العرب لغتها وامثالها ومواعظها وخطبها ، وكتابها المبين « القرءان » كما لا ندري باية سرعة سريعة برع طارق بن زياد فى لغة العرب حتى خطب خطبته الرائعة الشهيرة بعدوة الاندلس فى جموع بربرية اللغة والامثال والتقاليد ، مع انه ان كان من الممكن ان يتعلم فرد او بضعة افراد لغة ما فى القليل من الايام ، فان اعتناق امة – باجمعها – او جيش – باكمله – اللغة جديدة تلزمه اياما وآمادا ليست بالقصيرة على كل حال .

والتواريخ ، اذ تروي لنا هذه الروايات « المتواترة » عن انتشار لغة العرب فى انحاء المغرب ليست – فيما ارى – محل شبهة او شك او تدليس.

والمنطق الانساني السليم ، اذ يضع نقط استفهام او استغراب او تعجب من سرعة انتشار لغة العرب فى انحاء مغربنا الحبيب فى ذلك الوقت القصير من الزمن ، ليس من الاغراض او الشعوبية فى شيء .

وليس من شاني ، ها هنا ، ان اوفق بين الامرين ، وانما يكفيني ان اقرر – مع المقررين – ان المغرب – بعد الفتح – قد استعرب دينا ولغة وعادات وتقاليد ، واقبل على ذلك كله ، ونبذ ما عداه عن طواعية ومحبة واختيار ، فهل نحن – المغاربة – بالامس ، غيرنا اليوم ؟ .

مغاربة الامس فتحوا للدين الجديد قلوبهم وعقولهم واموالهم ونفوسهم ، كغيرهم من الناس الذين تقبلوا هذا الدين ، فلم يكتفوا بتقبله ، وانما حملوه معهم الى العالمين .. كذلك فعل مغاربة الامس : صعدوا باسلامهم وبلغته الى الاندلس حتى توغلوا به فى قلب اروبا ، وكادوا يلتقون مع بعوث اخوانهم الاسيويين الذين صعدوا – هم ايضا – باسلامهم وبلغته من الشرق الى اروبا .

مغاربة الامس سمحوا فى معتقداتهم وفى زعاماتهم ووثنياتهم ليقبلوا على الاسلام .. مغاربة الامس تركوا لغتهم الام واعتنقوا لغة العرب لغة وحدة وحضارة وسيادة وحكم .

اولئك مغاربة الامس ، مغاربة المغرب الحقيقيون وسكانه الاصليون الذين بهم فخرنا وعزنا ، ويتجلى فى تاريخهم المجيد كياننا القومي العزيز .

.. وما مغاربة اليوم الا احفاد لاولئك الاشبال..

كلمة تقال لا لاثارة الحماسة والعزة والنخوة الاصيلة وانما هو الواقع والحقيقة والتاريخ ، فنحن

بكل فخر احفادهم وابناؤهم واصلابهم ، لم يخرجنا من ديارنا واوطاننا احد ولم نتبدل ولم نتغير حتى كانت « الحماية » البغيضة فى اوائل هذا القرن الحالي حملة اوروبية صليبية مسعورة ، اقتصادية وسياسية بقصد « التمدين » و « التحضير » .

ولا ينكرن احد فعل الحماية فى المواطنين فلقد فعلت كل شيء الا انها لم تستطع تبديل تلك «الروح» المغربية الاصيلة التي يعتز بها كل مغربي صميم ، لقد زرعت فينا الاضطراب والفوضى والخوف والنفاق والثقافة الحديثة بما فيها من امراض العصر الحديث.

وبفعل ذلك تنكرنا للغتنا وتعرفنا على لغتهم ونسينا حضارتنا بحضارتهم ، واستبدلنا بثقافتنا الصحيحة ثقافتهم المريضة ، لا اقول هذا تعصبا للغتنا وحضارتنا على لغتهم وحضارتهم .. ولكن اقوله لاقرر من بعده ان لغتهم نافعة لهم وليست بنافعتنا فتيلا ، وحضارتهم عظيمة بالنسبة اليهم وليست صالحة لنا بما فيها من امراض العصر الحديث ، خاصة وقد بلينا ـ نحن المغاربة ـ بنقل ما فى حضارتهم من امراض ونبذ ما فيها من عظمة وجلال ، ومع ذلك فان « العرق نزاع » كما يقولون:

فاخواننا المتعلمون بالاجنبية ولا يحسنون العربية ، ويحنون الى لغتنا القومية، ينزع بهم عرقهم الى اصل..

واخواننا الذين لا يعرفون لغتنا ثم لا يحنون اليها ولا الى تعلمها ، ينزعون ـ هم الاخرون ـ الى اصل معلوم .

• ❋ •

على ان النزعة الطيبة ـ وحدها ـ ليست بفاعلة شيئا ، ولا بنافعة فتيلا ، فقد اراد مغاربة الامس للغة العرب ان تكون لغة ادبهم وحديثهم ومناظراتهم وحضارتهم، وعمودا من اعمدة كيانهم فهل يريد مغاربة اليوم ان يسيروا على الطريق نفسها وياخذوا نفس الاتجاه ؟

الحقيقة ان الاجابة على سؤال كهذا دقيقة بعض الشيء ، وان كنا نميل بعواطفنا ومشاعرنا الى الاجابة على هذا السؤال بالايجاب ، غير ان هذا الجواب الايجابي اذا اريد له ان يبنى على الفكر والعقل لا على العواطف والمشاعر ، وان يقوم على الحقيقة والواقع لا على الامل والخيال ، يوجب على العاملين فى هذا الحقل تقديم التضحيات المتوالية لان الغايات التي يرمون اليها صعبة ولا تدرك الصعاب الا بعظيم التضحيات .

فلئن ضحى ءاباؤنا ـ من قبل ـ بلغاتهم وثقافتهم فى سبيل احلال اللغة العربية فى المغرب الحبيب محلا لائقا ، فيجب على الابناء والاحفاد ـ من بعد ـ كذلك ان يقدموا قسطا وافرا من امثال هذه التضحيات .

ولكي تبقى العربية لغة للمغرب الحديث ينبغي العمل المثمر الواعي الخلاق على اذكاء جذوة الحماسة الى هذه اللغة فى نفوس العامة من الناس بجميع الوسائل الممكنة ، وعلى كل صعيد عام او خاص وليس يخاف على احد اعتزاز طائفة هامة من البرابرة بهذه اللغة كلغة للعقيدة والدين ، وكلغة للحضارة والثقافة والعلم ، ان مثل هذا الاتجاه القائم على سواعد اناس قلائل منتشرين فى السهول والقرى والبوادي ووراء الجبال ، يجب تشجيعه وتنظيمه بما يلائم روح العصر الحديث والمقومات الاصيلة لشعبنا العزيز .

ولا ينبغي للعامل فى هذا الميدان ان يهون او يضعف بحال من الاحوال او يعتقد ان عجز لغة العرب وسكونها هذه المدة الطويلة من الزمن يقوم عائقا دون لحاقها بركب الحضارة الحديثة .. اذ ان مجرد مثل هذا الاعتقاد يجعل صاحبه غير كفء لاداء هذه الرسالة ، ويوجب على العاملين المخلصين ازاحته من الميدان.. ذلك ان الايمان كفيل بايصال المرء الى آماله ولو كانت بعيدة المرام ، وما ان يخامر العامل ادنى شك فى عدالة منطقه ومطالبه الا اصابه الوهن والضعف والعجز وباء بالخيبة ولو كان من اقوى الاقوياء فى مادته ولغته وعلمه ، ولو كان المجال يسمح هاهنا بالافاضة ، لبينت كيف خلق « كمال اتاتورك » ـ زعيم تركيا الحديثة ـ للاتراك لغة خمسون فى المائة من الفاظها وكلماتها ماخوذة عن اللغة العربية، وقسم ءاخر منها من اللغات اللاتينية، ثم جعل من هذا الخليط للاتراك لغة قومية بها يتحدثون ويكتبون ويتفاهمون .. ودويلة اسرائيل المزعومة اقامت لنفسها فى مبدا هذا القرن فقط لغتها العبرية واحيتها من بعد نسيان بعد ان كانت قاصرة او مقصورة على الاساطير والتوراة .. تقرا ولا تفهم تبركا وترحما .. وها هما هاتان اللغتان اليوم يتحدث بهما ويكتب ويتراسل فيهما ويتخاطب بهما وتدار بهما المدارس والمعاهد والادارات ..

والملاحظ المنصف في احوال لغتنا العربية يجد واقعها الحاضر في مغربنا الحبيب خيرا من واقع تينك اللغتين حين دعا داعي نهضتهما وتطورهما : اذ لا يزال فريق مهم من ابنائنا يتحدث بلغته العربية ويكتب بها كاحسن ما تكون الكتابة وابدع ما يكون الحديث، ولا يطلب منا الا بذل مجهود يسير في سبيل تعميم هذه القدرة اللغوية التي يتمتع بها فريق ولا يجد فريق آخر منها نصيبا .

ان من حق الفريق الجاهل للغته ان يطلب تعلم هذه اللغة ، ومن واجب الفريق العالم بهذه اللغة ان يعلمها لمن جهلها من ابناء قومه على اي صعيد استطاع سواء كان عاما او خاصا .

لذلك كان على الذي يمسك القلم ليكتب ، او يصعد درجات المنبر ليخطب ، ان يبذل الجهد الكبير المخلص في تقوية لغته واسلوبه وتبسيطهما ، وجعلهما في متناول العامة والخاصة ، ليجذب الناس اليه ، ويفيدهم من علم ما يعلم ، رائده في ذلك الايمان القوي الصادق المخلص بقضيته ، والتجربة تعلمنا في كل وقت وحين ان الايمان بعدالة القضية عامل اساسي في نجاح هذه القضية .

ان كلمة بليغة من النثر ، سهلة الالفاظ والكلمات والتراكيب عذبة الاسلوب والمعنى ، ينتجها كاتب اديب ، ثم يحفظها الناشئة وغير الناشئة ممن يهمهم امر انتشار اللغة العربية لعمل رائع مجيد في سبيل نشر اللغة العربية وتعميمها بين الناس .

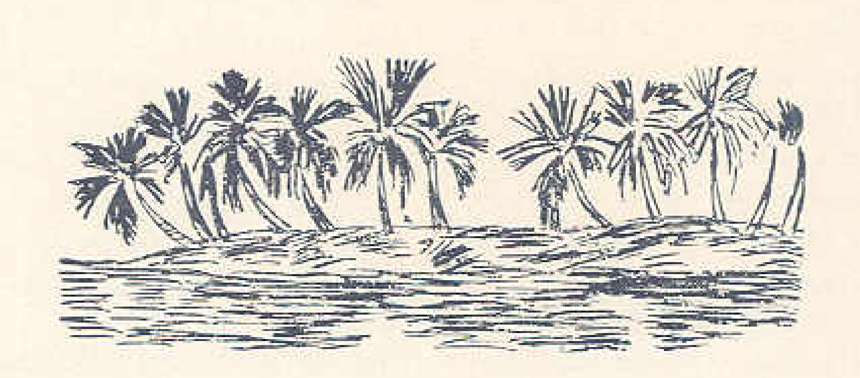
وان قطعة من الشعر انيقة الوزن والقافية ، رفيعة الاسلوب والمعنى لكفيلة بان يكتب لها الذيوع اذا تلقفها عن الشاعر ملحن مغربي فاودعها في لحن عربي الارومة والنغم ، مغربي الغاية والهدف والامل، ان مثل هذه القطعة قمينة بان يهزج بها الصغير ، ويطرب لها الكبير ، وجديرة بان ترسخ في ضمير الجيل الناشيء مثلا اعلا وغاية من الغايات السامية المقدسة لدى الامة .

ان ما ينفع الناس حقا ان يجدوا سبل العربية سهلة ميسرة بين ايديهم في كل مكان : في الكتاب .. في الاذاعة بنوعيها المرئي والمسموع .. في المسرح .. في القصة .. في الرواية .. في الفن .. في كل مرفق من مرافق الحياة .. وهكذا يشترك العلم والفن والادب والصحافة في دعم انتشار اللغة العربية وتعميمها بين الناس ..

والشرط في ذلك كله ان يكون صادرا عن ايمان بعدالة هذه القضية ، ومن مظاهر هذا الايمان الانتاج القوي والمتقن ، فان الله : « يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » .

وما اسرع ما تاخذ العربية مكانتها المجيدة بين قومنا في هذا المغرب الحبيب كلغة للبيت والمدرسة والشارع والمعهد والجامعة ، ولا يكون شيء من ذلك الا بالايمان المخلص و « العمل المتقن » .

سلا ـ عبد الله الكامل الكتاني





كان من راي الاستعمار فى العالم العربي ان القضاء على مقومات الشخصية العربية هي وسيلته للبقاء والاستمرار فى السيطرة على مقدرات البلاد ، وكانت اللغة العربية فى مقدمة عوامل الوحدة والتجمع والالتقاء بين العرب ولذلك ركز غزوه الثقافي عليها محاولة للقضاء عليها .

ولقد كان هدف الاستعمار ان تصير اللغة العربية الى ما صارت عليه اللغة اللاتينية ، لغة متحف تدرس على الاثار والتحف ، وان تصبح اللهجات المحلية فى اقطار العالم العربي لغات مستقلة لها ادبها وثقافتها وبذلك تتعدد اللغات ويقضي على اللغة العربية ، ويقضي بذلك على القرآن الكريم والتراث العربي الاسلامي الضخم الذي اشترك فى ابداعه مئات الفلاسفة والكتاب والعلماء منذ بزوغ فجر الاسلام حتى اليوم .

ولقد جند الاستعمار قواه لهذه الغاية وحرص عليها ورسم لها خططا بعيدة المدى ، وقامت فى الاقطار المحتلة منظمات لهذا الغرض ليس لها مهمة غير توجيه الحملات الى اللغة العربية واتهامها بالقصور وعدم الكفاية العلمية ، او ارتفاع مستواها عن مفاهيم المجموعات العامة ، او اتهام حروفها ونطقها وكتابتها بالصعوبة والتعقيد . وكانت هذه الاتهامات مقدمة للنفاذ الى الدعوة الى اللغة العامية او استخدام الحروف اللاتينية وتحطيم عمود الشعر .

ولقد واجه الشمال الافريقي عملا اشد عنفا فقد قضى على اللغة العربية نهائيا فى المدارس الرسمية ولم يبق الا فى الكتاتيب وحلقات المساجد والمدارس الاهلية وجامعتي الزيتونة والقرويين .

وكان هذا اعنف اجراء فى القضاء على اللغة العربية واحلال لغة المحتل مكانها .

اما فى المشرق العربي فقد توالت الحملة فى صورة دعوات متوالية استمرت وتوالت وتعددت واحدة بعد اخرى يحمل لواءها فى اول الامر غربيون مقيمون ثم وطنيون مستغربون .

وكان من هؤلاء وليم ويلكوكس المهندس الذي دعا الى العامية وحاول ترجمة الانجيل اليها ، والقاضي ويلمور الذي دعا الى العامية مع كتابتها بالحروف اللاتينية ثم ظهر على الاثر لطفي السيد يحاول فى عبارات ساحرة ان يحمل نفس اللواء على نحو خادع عنوانه تقريب اللغة العامية الى العربية وتحسين عباراتها وتمصير اللغة العربية وجرى ما اطلق عليه اسم « ازمة » اللغة العربية وحمل الدعوة اليها فريق المعتدلين ، غير ان سلامة موسى وامين الخولي ومحمود تيمور ــ وقد عاد عن هذه الدعوة بعد ــ وعبد العزيز فهمي وجورجي صبحي فى مصر كل هؤلاء حملوا لواء هذه الدعوة ، كما حملها فى لبنان كثيرون فى مقدمتهم الخوري مارون غصن وآخرون غيرهم من بينهم سعيد عقل فى الفترة الاخيرة ، وهكذا عاش العالم العربي فى خلال فترة ستين عاما فى صراع بين دعوة تريد ان تحطم اللغة العربية لتقضي عليها وبين مقاومة لها شقان : شق يدافع عن عظمة اللغة العربية ، وشق يعلم هذه اللغة ويبحث فى عناصر التعريب والنحت والاشتقاق لتمكين اللغة من استقبال المصطلحات العلمية الجديدة ، حتى الشعر كان له دور فى الدفاع عن اللغة فقد انشد حافظ قصيدته المعروفة:

وقد اعان انصار اللغة العربية في القضاء على دعوى العامية عوامل كثيرة ، منها ان اللغة العربية واجهت في العصر العباسي مثل ما تواجهه اليوم عندما ترجمت اليها مؤلفات الرومان واليونان ، فقد استطاعت ان تستقبل عشرات ومئات من المصطلحات دون ان يعجزها ذلك ، وان عشرات من اعلام الغرب الذين درسوا اللغة العربية قد اعترفوا بعظمة هذه اللغة وكمالها وقدرتها القادرة على تقبل كل تطور والاستجابة لكل عصر .

وكان من عوامل ضعف الدعاة الى العامية انهم لم يستطيعوا ان يكتبوا بها او ان يحققوا نموذجا صالحا لما يدعون اليه ، وقد حاول لطفي السيد في الماضي وطه حسين في القريب الكتابة بالطريقة القديمة جدا التي تدمج الشكل في الكلمات ، غير ان هذه الدعوة قد لقيت السخرية والامتهان كما لقيت دعوة الكتابة بالحروف اللاتينية التي دعا اليها عبد العزيز فهمي وكان قد سبقه الى الدعوة اليها كثيرون .

وشارك المغرب العربي في هذه المعركة حين دعا المستشرق ماسنيون الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية عام 1928 في اندية الشباب العربي في باريس ولقي معارضة كبيرة ، كما وجد المستشرق كولون ردا عنيفا على دعوته من الكاتب العربي المغربي عبد الله كنون .

وقد حملت معركة الهجوم على اللغة العربية روح التعصب والغرض والهوى ، ولم تكن خالصة صادقة ، وقد واجهتها مقاومة علمية صارمة قائمة على اساس من التفكير العلمي الخالص ، ومن اهم اسسها :

— ان الفرق بين لغة الكتابة ولغة التكلم عندنا ليس بالشيء الكبير ، وقد لا يكون اكثر من الفرق بين لغة كتاب الانجليز ولغة عامتهم .

— ان الناطقين باللغة العربية تختلف لغتهم العامة باختلاف الاصقاع ، والفرق بين لغة مصر والشام ليس باقل من الفرق بين الفصحى والعامية ، فاستبدال العامية بالفصحى يحرم كل قطر من الانتفاع بانتاج القطر الآخر .

— ان اغفال الفصحى يستوجب اغفال كل ما كتب عنها من العلوم منذ الف واربعمائة عام وهي خسارة لا حد لها .

— الوحدة بين اجزاء العالم العربي قائمة بالمحافظة على اللغة الفصحى ، اذ لولا القرآن لتشتت شمل الشعب العربي .

— ان اللغة العامية منحطة لانحطاط عقول الناطقين بها ولا تقوم مقام الفصحى في اللغة العربية التي هي بشهادة المنصفين ارقى لغات العالم .

وقد كشف المنصفون عن عظمة اللغة العربية واتساعها وكثرة الفاظها وتعدد معانيها وقد امكن حصر مائة الف مادة من كلامها مما لا يمكن معه وصفها بالقصور ، كما اشاروا الى اتساع مجالها لاغراض الكتابة وفنون البلاغة من اطناب وايجاز وتصريح وتلميح واستعارة .

وانها قد خاضت معركة الترجمة من اليونانية والهندية ابان العصر العباسي حيث استطاعت ان تستوعب كتب الطب ، والحكمة ، والحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والحيل ، والرياضيات ، والفلك ، مما لا يقع تحت حصر ، ولم يستعص عليها اي مصطلح .

وشهد للغة العربية كبار مفكري الغرب — حتى من بلغوا غاية التعصب ضد الاسلام والعرب ، مثل « ارنست رينان » الذي سجل في كتابه (تاريخ اللغات السامية) ان اللغة العربية بدات فجاة على غاية الكمال ، وان هذا عنده من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حله ، وقد انتشر سلسلة اي سلاسة ، غنية اي غنى ، كاملة لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا اي تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، اذ ظهرت لاول امرها تامة مستحكمة ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

وقال شبنجلر في كتابه ، انهيار الغرب : ان اللغة العربية لعبت دورا اساسيا كوسيلة لنشر المعارف وآلة للتفكير في خلال المرحلة التاريخية التي بدات حين احتكر العرب على حساب الرومان واليونان طريق الهند .

وقال العلامة فريتاغ الالماني ان اللغة العربية ليست اغنى لغات العالم فحسب ، بل ان الذين نبغوا في التاليف بها لا يكاد ياتي عليهم العد ، وان اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والاخلاق اقام بيننا ونحن

الغرباء عن العربية وبين ما القوه حجابا لا يتبين ما وراءه الا بصعوبة .

وقال ريتشرد كوبتهيل انه لا يعقل ان تحل اللغة الفرنسية او الانجليزية محل اللغة العربية ، وان شعبا له اداب غنية منوعة كالاداب العربية ، ولغة مرنة لينة ذات مادة تكاد لا تفنى لا يخون ماضيه ولا ينبذ ارثا اتصل اليه بعد قرون طويلة عن آبائه واجداده وان التباين الجزئي الذي يبدو بين اللهجات العربية لابد ان يزول ، وعليه فستكون عندنا منطقة عربية تتكلم لغة واحدة شاملة وقال : لقد كان للعربية ماضي مجيد وفي مذهبي انه سيكون لها مستقبل باهر .

وقال وليم ورل : ان اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى امام اي لغة من اللغات التي احتكت بها وانها ستحافظ على كيانها في المستقبل كما فعلت في الماضي ، وان لها لينا ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ، وان اللغات الاوروبية في خلال 250 سنة لم تستطع السيطرة على العربية او اضعاف مكانها .

وقال ماجليوث ان اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية ، وانها احدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها (الانجليزية والاسبانية) وهي تخالف اختيها بان زمان حدوثهما معروف ولا يزيد سنهما على قرون معدودة ، اما اللغة العربية فابتداؤها اقدم من كل تاريخ .

ولعل خير ما نختم به هذا الفصل ما سجله الخليل بن احمد في كتاب (العين) من ان عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل (412 \ 305 \ 12) كلمة (اثنى عشر مليونا من الابنية وثلاثمائة الف) وان عدد الالفاظ العربية (400 \ 699 \ 6) لفظا (ستة ملايين وستمائة وتسعة وتسعين الفا) ولا يستعمل منها الا 5620 لفظا والباقي مهمل .

القاهرة : انور الجندي



مدار الخلاف بين الاتحاد السوفياتي والصين

للأستاذ : محمد جميل بيهم

تلطفت مؤسسة العلاقات الثقافية بين الاتحاد السوفييتي والبلاد الاجنبية ودعتني لزيارة بلادها فرحبت بالدعوة بغية الاطلاع على حقيقة ما يسمونه بالستار الحديدي ، وعما اذا كان هناك جحيم ام نعيم وقد استقبلني في مطار موسكو وفد من قبل المؤسسة وفي طريقنا الى الفندق ساقني حب الاستطلاع لان اطرح على احد افراد الوفد هذا السؤال :

ــ ما هو مذهبك ؟

وقد اجاب مرافقي بلهجة المؤمن : انا ماركسي .

وفي غضون وجودي بروسيا وافتني دعوة اخرى من لجنة السلام في بكين لزيارة الصين الشعبية وللاشتراك في مهرجانها الذي يقام لمناسبة دخول السنة الثامنة للثورة الحمراء . فرحبت ايضا بهذه الدعوة ، وطرحت نفس السؤال على احدى مستقبلي في المطار فكان جوابه : انا ماركسي ، ولم يزد . فخيل لي حينئذ ان الفكرة التي حملتها معي من بيروت في صدد وحدة الشيوعية وتطبيقها في البلدين هي صحيحة ، وان لا فرق بينهما في شيء . بيد اني ما ان درست احوال الصين الشعبية حتى تبخر هذا الاعتقاد .

فالصينيون يقدسون ماركس وانجلس ، ويتحدثون بلفتيهما في كل مجلس في الشعب ، وحقوقه ويرددون كثيرا كلمة السلام ، ويرفعون رسميهما في كل مكان الى جانب صور لينين وستالين وماوتسيتنغ ــ وسن ــ يت سن ، ولكنهم في تطبيق المبدا الشيوعي يسلكون سبيلا آخر غير سبيلهما .

والصينيون يذكرون بالخير الاتحاد السوفييتي الذي حررهم وامدهم بالمال ، ويؤيدون موسكو في سياستها الخارجية ، ولكنهم ، مع ذلك ، يحرصون كل الحرص على ان تكون لهم سياسة داخلية مستقلة غير تابعة لاحد .

« أين الاختلاف في الشيوعية بين الصين والاتحاد السوفييتي ؟ »

طرد الصينيون اليابانيين من بلادهم سنة 1945 بمساندة موسكو ، وتحررت الصين من النفوذ الامريكي سنة 1949 بمساعدة موسكو ، ودخلت في نطاق الكتلة السوفييتية على انها دولة شيوعية مثل كل الدول الشيوعية . وكان اذن من المفروض ان تتقيد بسياسة السوفييت في تطبيق المبدا الشيوعي أسوة بهذه الدول . غير اني لاحظت ، حين زرت الصين ، انها وان كانت تشرب من نبع واحد هي والاتحاد السوفييتي الا انها تختلف عنه في تطبيق المبدا اختلافا بينا : ففي روسيا شيوعية ترعاها دولة عمالية بروليتارية تفرض مباديها بالقوة دون هوادة ، بينما هي في الصين شيوعية قريبة من الديمقراطية تمارسها دولة شعبية تحرص على مراعاة الاقليات ، ومداراة العناصر ، وتعتمد على الزمان وعلى الترغيب والتوجيه في تعميم مباديها .

ــ فما هو السبب في ذلك ؟

يعود السبب الى اختلاف الامتين في امور كثيرة، منها ما يراد الى الاخلاق الفطرية والاوضاع المحلية ، ومنها ما يرجع الى الظروف السياسية ، والى الزمان . وهذا ما سنتحدث عنه تباعا .

الاختلاف في الاخلاق بين الصين وروسيا

بين الامتين بون شديد في الاخلاق الفطرية حتى يصبح اعتبار كل واحدة منهما مثلا على التطرف في الناحية التي تلتزمها . اهل الصين مفطورون على الوداعة واللين وحب السلام نتيجة لتعاليم بوذا التي اخذوا بها خلال الاف السنين . وهم اذا رددوا كثيرا كلمة السلام فانما يرددونها عن عقيدة واخلاص . هذا فضلا عن انهم مفطورون على السماحة حيال كل الاديان عملا بهذه التعاليم .

اما الروس فقد خلقتهم طبيعة بلادهم القاسية اشداء ، وبالتالي عنيفي الطباع ، وجعلتهم متعصبين لكل مبدأ يعتقدونه تعصبا اعمى ، ومفرطين في الكفاح عنه وفرضه على الآخرين . كانوا كذلك في عهد القياصرة بالنسبة للدين ، ولا يزالون على ما كانوا عليه عهد الشيوعية .

لذلك فان الصينيين وان اعتنق بعضهم المذهب الشيوعي ، واستأثروا بالحكم بمؤازرة موسكو ، الا ان هؤلاء درجوا على نشر الشيوعية بالتزام طرق تتفق مع طبيعتهم السلمية . فلم يمارسوا على الغالب البطش والعنف للقضاء على خصوم الشيوعية ، وانما اختاروا الاستعانة على ذلك بالمدارس والدعايات والزمان ، بالاضافة الى وسائل التشويق والترغيب ، وتأمين منافع لذويهم لايدركها الآخرون . قد لاتشعر حتى ولو كانت في الصين ، بان النظام الراسمالي لا يزال فاشيا فيها ، وانه رغم ما بذلته الحكومة القائمة والحزب الشيوعي من الجهود الجبارة لتحويل البلاد الى النظام الشيوعي ، فان ثلثي الاراضي الزراعية لايزالان في حوزة افراد يستثمرونها لانفسهم ، وان ثلاثة ارباع الصناعات اليدوية لاتبرح في ايدي غير الشيوعيين ، وتستثمر من قبل اصحابها .

وقد لاتشعر ايضا ، وانت ترى الحزب الشيوعي يسيطر على البلاد سيطرة تامة ، بان هناك احزابا كثيرة اخرى ، بعضها من اهل اليمين الذين يمثلون الراسمالية . والواقع ان الحزب الشيوعي الذي لايزيد عدد المنتسبين اليه ، بمقتضى احصاء سنة 1959 ، عن 1 214 000 شخص انما هو يحتفظ بالحكم ليس لكثرة الشيوعيين في الصين ، بل استنادا الى انه اوفر الاحزاب عددا ، وافضلها تنظيما ، والى انه يستمد القوة من موسكو .

على ان الاحزاب الاخرى لم تهن ولم تستكن ، بل ما زال بعضها يقوم تباعا بمحاولات لقلب الحكم القائم . وقد تميز عام 1956 بكثرة هذه المحاولات ، ثم لم تخل السنون التي تلته من مؤمرات على الوضع .

امثلة على اختلاف الصين وروسيا في الاخلاق

الموت . الاعدام . او النفي الى مجاهل سيبريا عند الرحمة ، هذا جزاء الذين يتآمرون على الحكم القائم في موسكو ، او بالاحرى جزاء المنحرفين . اما في الصين فالصفح يقدم في كثير من الاوقات ، على القسوة . ففي عام 1957 حاول اثنان من نواب حزب اليمين في مجلس الامة قلب نظام الحكم . ولكنهما فشلا ووقعا في قبضة السلطة واحيلا الى المحكمة . وكانت النتيجة انهما استبقيا في المجلس لان احدهما اعترف بخطئه ، ولان الاسباب القانونية لم تتوفر لادانة الآخر .

وكان اكثر من مائة الف شخص يعملون في مكاتب الدولة والمدارس والمؤسسات الثقافية والدوائر الصحية والمشاريع الصناعية والهيئات المحلية للاحزاب الديمقراطية قد وصفوا ، سنة 1958 ، بانهم اعداء الشيوعية ، وامسوا عرضة للعقاب . ولكن سرعان ما صدر قرار بالعفو عن الاشخاص الذين اعربوا حقا عن صلاحهم ، فاذا بالدولة تصفح عنهم تباعا ، واذا بانباء روتر تنقل الينا عن بكين ، في 29 كانون الاول 1960 « ان السلطات الصينية ازالت وصمة اليمينيين عن اكثر من 1270 شخصا تمشيا مع هذا القرار . »

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الشيوعية في الصين الشعبية لا تزال عرضة لمؤامرات فرموزا ، ومن ورائها واشنطن ، قدرنا قيمة هذه السماحة التي تمارسها بيكن حيال الذين تعتبرهم من المنحرفين .

الاوضاع المحلية والظروف السياسية

وهنالك اسباب اخرى مهمة غير تباين الاخلاق لاختلاف موقف بيكن وموسكو حيال الشيوعية ، واعني بها الظروف السياسية ، والوضع الجغرافي : فروسيا جزء من اوروبا . لذلك فما ان انقلبت الى دولة شيوعية حتى القت الرعب في قلوب ساسة الغرب ، وقضت مضاجع الراسماليين والارستقراطيين ، فتنادوا

وتآلبوا عليها منذ عام 1917 ، وعملوا جاهدين على اثارة الفتن في امصارها ، وامداد اعدائها في الداخل والخارج بالاموال والعتاد .

هذا الى ان الاتحاد السوفييتي يتألف من بلاد فسيحة الارجاء تمتد من البحرين البلطيكي والاسود الى بحري الصين واليابان ، بلاد تقدر مساحتها بـ 22 400 000 كيلو متر مربع ، وتقوم فيها خمس عشرة جمهورية ، وخمسون قومية لا تمت لروسيا بسبب ، ولا يجمع بينهما دين ، ولا تقاليد . قوميات ادخلت في الحكم الروسي بالقوة ، وحملت على الرضوخ للشيوعية بحد السيف .

واما الصين فهي في اقصى الشرق . وشيوعيتها، وان تعرضت ، ولا تزال لمؤامرات الغربيين ، الا انها ما شعرت يوما بجزء من الخطر الذي كانت تشعر به روسيا عقب ثورتها الحمراء . هذا فضلا عن ان الصين، رغم اتساع رقعتها الجغرافية وتعدد قومياتها ، فانها تعتبر كتلة واحدة بالنسبة لروسيا .

وكان من عواقب التباين في الظروف السياسية والاوضاع الجغرافية بين موسكو وبيكن ظهور بون شديد في سياسة كل منهما الداخلية . فهما وان اتفقا على الحذر من اعداء الشيوعية الا ان ظروف روسيا واوضاعها جعلتها اشد حذرا ، وحملتها بالتالي على ان تلجأ للعنف والقسوة في اول الامر ، ثم على ان تجنح الى سياسة الارهاب ، والى الشدة حين الحاجة بعد ان استتب لها الاستقرار .

اختلاف عناصر الثورة في البلدين يؤدي الى اختلاف في سياستهما الشيوعية

كانت الثورة الروسية ثورة عمالية . والعمال اشد تكتلا وتنظيما من الفلاحين ، واقرب تفهما لمبادىء كل ثورة . وقد التفوا حول دعاة الشيوعية ، منذ الثورة الاولى سنة 1905 التي باءت بالفشل ، ثم التفوا حول لينين وصحبه حينما استأنفوا الثورة خلال الحرب العالمية الاولى فقدر لهم النجاح .

واما في الصين البلد الزراعي فان الفلاحين الذين كانوا دعامة الثورة لم يكن الحافز لهم على حمل السلاح مبدأ من المبادىء الاجتماعية ، وانما ثاروا عن كراهية شديدة للاجانب الذين استثمروهم مدة طويلة واستعبدوهم .

ثم لماذا اقبل الصينيون على روسيا ؟ واستطابوا شيوعيتها ؟ .

اقبلوا عليها من جراء ما عاناه الشعب من ارهاق في ظلال حكامهم « ابناء السماء » الذين انحطوا ، في اواخر ايامهم ، الى مستوى الاستعانة بالاجانب على تذليل شعبهم المتذمر .

واقبلوا عليها لان الاتحاد السوفييتي عرف كيف يكسب قلوبهم ، فقد اظهر مرونة سياسية ما مثلها مرونة حينما عزف عن سياسة املاء الفراغ ، أو سياسة « قم لاجلس مكانك » التي ما يزال الغرب يتمشى عليها ، كما نوهنا بذلك في كتابنا « واشنطن تعبد الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين » .

اجل فمنذ عقد السوفييت معاهدة مع الصين عام 1924 تخلوا فيها طوعا عن الامتيازات التي كانت لروسيا القيصرية ، بينما كانت الدول الغربية لا تفتأ تظهر الحرص الشديد على استبقاء امتيازاتها في الصين ، وعلى استثمارها كمزرعة لها . واكثر من ذلك فقد كانت لا تستعين بالقوة من اجل الحافظ على الاستعمار فقط ، بل تلجأ اليها من اجل الاستمرار على تسميم الصينيين بالافيون حتى سميت احدى الحروب التي شنتها على الصين بحرب الافيون .

ثم ما ان قامت الجمهورية الشعبية في بكين سنة 1949 على انقاض جمهورية شان ـ كاي ـ شك الموالي للغرب ، وذلك بمساعدة موسكو ، حتى اقبلت هذه على امدادها بالمال والرجال من اهل الاختصاص دون اي شرط ، ولسان حالها يقول : « لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

فالشعب الصيني المزارع ، الذي هو اشد الناس حفاظا على تقاليده ، والذي كانت كثرته ابعد الناس عن تفهم المبادىء الاجتماعية والتمييز بينها ، استطاب مواقف الروس حياله خلال ربع قرن ، لا الشيوعية نفسها ، فمشى وراء الحزب الشيوعي في ثورة على جمهورية شان كاي شك . كما ان هذا الحزب الذي قاد الثورة وتبوأ كرسي الحكم ، منذ سنة 1949 ، التزم في نشر مبادئه الشيوعية ، سياسة الابتعاد عن

تنفير الفئات المؤلفة قلوبها التي لما يدخل الايمان بالشيوعية الى قلوبها ، والتزم ايضا التقيد بالاحكام الدستورية اوفر من زميله بموسكو . ومن هنا بدا الاختلاف في سياستي الدولتين الداخلية .

الانقلاب في الموقف تجاه الشيوعية بموسكو وبكين

حفلت سنة 1960 بانقلاب فجائي في موقفي كل من الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ، فموسكو الموسومة بالعنف جنحت الى التبشير بالتعايش السلمي بينما انبرت بكين المفطورة على حب السلام لمعارضة موسكو ، واتهامها بانها تنكرت لمبادىء ماركس ولينين وذلك عند ما دعت للتعاون مع الاستعماريين ، وحينما نبذت روح العنف الثوري من اجل استيلاء الشيوعيين ، في كل مكان ، على الحكم . ورددت بكين القول : « لن نوافق ، ولن نقبل على الاطلاق التعايش السلمي ، بين الفارس والفرس » .

— فلماذا هذا التبدل ؟

— الان شيئا من طبيعة كل منهما قد تبدل ؟

لا وانما يعود السبب الى مصدر آخر يتصل بجزيرة تيه — وان المحتلة المعروفة عندنا بفورموزة . فهذه عند الصينيين ، هي كفلسطين بالنسبة للعرب ، انشودة الاناشيد ، وقافية القصيد . ففي الخطب التي تسمعها وانت في الصين الشعبية يتردد على مسمعك كثيرا ذكر هذه الجزيرة السليبة في سياق اثارة المشاعر لاستردادها . وفي المعاهد العلمية والحدائق العمومية ، وفي بعض الشوارع الكبرى تلفت نظرك لوحات كبيرة تشير الى ان تيه — وان هي جزء لا يتجزا من الصين . لذلك فان الصين الشعبية لا تفهم ، ولا تريد ان تفهم كيف ان حليفتها تتسامح في الدعوة الى التعايش السلمي بينما ان جزيرتها المحبوبة لا تستعاد الا بالحرب .

والصين لا تريد ان تفهم كيف تصافح موسكو واشنطن ، وهي التي لاتفتا تصر على ابعادها عن هيئة الامم المتحدة متجاهلة وجودها رغم ان عدد اهلها يبلغ نحو اربعة امثال عدد سكان الولايات المتحدة .

انتصار خروشوف رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي على ماوتسينتغ رئيس الحزب الشيوعي الصيني

ان هذا الخلاف بين الصين والسوفييت يبدو بالنسبة لموسكو خطيرا خصوصا وان العالم يجتاز الآن ازمة سياسية ملتهبة . لذلك رات موسكو ان تكتسب مناسبة احياء ذكرى مرور 43 سنة على ثورة تشرين الاول (اكتوبر) لدعوة الاحزاب الشيوعية الى عقد مؤتمر عام . وقد كان المؤتمر ناجحا اذ اشترك فيه 81 حزبا ، وحضره كل من ليوشا شي رئيس جمهورية الصين الشعبية ، وليونيد بريجنيف رئيس هيئة السوفييت الاعلى . غير ان جلساته استغرقت عدة اسابيع لتقريب وجهتي النظر بين موسكو وبكين . اما النصر فكان في نهاية الامر حليف خروشوف .

وقد اصدر المؤتمر بلاغا في شهر كانون الاول « ديسمبر » 1960 وصفته الانباء السوفييتية بانه « البرنامج الماركسي اللينيني الشيوعي للعالم باسره » . وهو في الواقع بلاغ يخرج عن تعاليم ماركس ولينين بالامرين التاليين :

1) يجب ان يعيش الشرق والغرب معا دون اثارة اخطار الحرب النووية .

2) على الشيوعيين المحليين ان يواصلوا جهودهم للوصول الى الحكم في مناطقهم دون اللجوء الى القتال المسلح .

وبحسب الظاهر فان الخلاف بين موسكو وبكين قد سوي في هذا المؤتمر خصوصا وان البلاغ تضمن ترضية للصين العبارة التالية : « ان التعايش السلمي لايفيد التخلي عن كفاح الطبقات ، ولا تصالح بين المذاهب المختلفة ، وانما المقصود به تجنيد الجماهير وجميع القوات لمقاومة اعداء ، وخصوم الاستقرار » .

ولكن هذه العبارة التي زجت في البلاغ بغية الوصول الى اتفاق لا تحل الخلاف الا بصورة ظاهرة ودبلوماسية . واما الصين فهي ، في الواقع ، لا تزال على رايها من حيث انكار كل تعايش سلمي ما دامت تيه — وان محمية من العم سام . والصين ما رضخت لراي الكثرة في المؤتمر الا مراعاة لظروفها الاقتصادية ولحاجتها الماسة لمساعدة موسكو ، وسوف يكون لهذا الخلاف ذيول .

بيروت — محمد جميل بيهم



ألقيت في مهرجانات عيد النصر في فاتح نوفمبر 1964

لشاعر الثورة الجزائرية، مفدي زكرياء

آمنت بالشعب فرداً لا شريك له

لاي حج هنا تنصب بلـــدان ؟ ... واي ارض لها ترتـج اكـوان ؟

واي عيد لـه الاجيال شاخصــة ... واي حفـل تجلى فيه قحطـان ؟

واي ساح بهـا تصغي الدنا كلمـي ... كأنهـا ـ بعد وحي الله ـ قـرآن ؟

هي الحقيقـة ام حلم يهدهدنـي ؟ ... كم راعه في ظـلام الليل سجـان ؟

اواقع . ؟ ام طلاسيـم ، واخيـلة ؟ ... هاروت ابدعها .. ام صاغها جان؟

ومن انا .. هل انا من كنت اعرفه ؟ ... ام كيف يحمل عرش الله انسـان ؟

هي الجزائر .. صدر الغيب اطلقها ... لما تفجـر بالعمـلاق بـركـان

هي الجزائر .. وعد الله انجدهـا ... لما استخف بوعـد الله طغيـان

وتلك الويـة للنصـر خـافقـة ... (ثالوثها) عن ضمير الشعب عنوان

ودا حمى وطني والشمـل ملتئـم ... وبيـن جنبـي اخـوان وخـلان

وذاك قـدس تداوينـا بتـربتـه ... كمـا تداوى بشم التـرب ولهان

ارض بها بسمـات الـرب مشرقـة ... كأنهـا عـن جمـال اللـه برهـان

وجنـة .. قيـل ان الله خباهـا ... سرا عن الناس ، لايدريـه رضـوان

قف بي على رفرف (الابيار) منشدا ... تـكرك من رفرف (الابيار) الحان

وتـه (بحيدر) عجبـا كلمـا عبقت ... من ورد (حيـدر) ارواح وريحـان

(وقبة الحور) تغشيهـا منارتهـا ... كأنهـا عن عميـق الحب اعـلان

تطـوف حـول فراشات مروعـة ... تنسل .. اعوزهـا في النور كتمـان

كم ضج في الدرب الف من نميمتهـا ... وكم مشوق بهـا هاجتـه اشجـان

واصعد على عرصات الحي في صلف ... يفجاك في عرصات الحـي هـامـان

تلك الجزائـر غرقى في مباهجهـا ... والشعب في عرسها نشوى ونشوان

نهـر المجـرة وهم من فوانسهـا ... والافـق منهـا انعكاسات والـوان

خميلـة باركتهـا كـف مبدعهـا ... وخصهـا بـدم الاحـرار جنـان

ولوحـة صنـع الرسـام ريشتـه ... منهـا فامعـن في الاعجاز فنـان

والبحر فى لهفة الولهان خاصرها ... كما تخاصر غادات وولدان
الحالمات على الشاطيء زوارقه ... العابثات وموج البحر وسنان
مررن كالذكريات العابرات ضحى ... يلفها مع غروب الشمس نسيان
كأن البحر بعضا من خلائقها ... فى السلم متزن فى الحرب طوفان
ارض البطولات ان تمس كرامتها ... والعبقريات ان تنصب اذهان
وتبع يعرب فى علم وفى ادب ... ليشهد لها من كرام العرب عدنان
سلوا (بجاية) فى الامجاد ما صنعت ... وكم (بقلعة حماد) لنا شان
واخشع (بسرتا) وواديها ، وربوتها ... كم للعروبة فيها اعتز سلطان
وقف (بتيهرت) واستعرض سيادتنا ... فيها يخبرك عن (تيهرت) (سلمان)
واستفت فى قرية (العباد) عاهلها ... تجبك عنه مع الدنيا (تلمسان)
آثار (زيري) شهود فى معاقلها ... وملء مشورها مازال (زيان)

* * *

يادار .. ياخير ارض لامست كبدي ... فشع من نبعها عقل ووجدان
آمنت بالله .. مثل الناس عن ثقة ... بما روته عن الاجداد ازمان
وفيك جددت ايماني ومعتقدي ... لولاك ما صح اسلام وايمان
لولا التقى لقطعت العمر اعبدها ... ما فى عبادتها شرك وكفران

* * *

آمنت بالشعب فردا لا شريك له ... ما فى حمى الشعب اسياد وعبدان
له السيادة فى قول وفى عمل ... وللسياسة اصغاء واذعان

* * *

ما للكنيسة فى مغناك باهتة ... كأنها فى جبين الشعب بهتان
ما للنواقيس لا تنفك تزعجنا ... اليس يسمعها فى الخلد (حسان) (*)
متى يلعلع ذكر فى محاربها ... متى تعوض بالايات صلبان
ام هل ترى صلوات الله قائمة ... حينا بها .. مثلما كنا .. وما كانوا
ام الاذان يدوي ملء ساحتها ... فتستريح من الاجراس رهبان
حاشاك.. حاشاك ياعيسى،هم كذبوا ... ما فى النبيين نصاب وخوان

(*) اسم الامير الذي بنى مسجد كشاوة الذي صيرته فرنسا فيما بعد كنيسة

لانت صهر رسول الله من قدم … كم كنت بشرت من عقوا ومن خانوا؟
احييت موتاك ، احيي اليوم لي املا … في عيد شعب له بالرسل ايمان

❊ ❊ ❊

وقفت في الفرحة الكبرى بساحتها … اتلو الروائع ، والاسلاك آذان
بالامس وقعت للوشاش رنته … فارتج من رنة الرشاش ايوان
واليوم تشدو العذارى في مواكبها … خوالدي ، ملؤها دفء وتحنان
في مهرجان به الدنيا مجددة … ومعقل ، بكرام العرب يزدان
من كل حد صديق صان حرمتنا … وكل شهم له بالدار اخوان
من اسمر حملته الشمس موثقها … وابيض ساقه فضل واحسان
ما في العقيدة الوان توزعنا … ما في ضمائرنا بيض وسمران …

❊ ❊ ❊

يا نازلي ، كراما في ديارهم … ارض الجزائر للاحرار اوطان
ويا عروبة من ام لنا واب … هنا العروبة دوحات واغصان
هنا الاصالة في صلب وفي رحم … هنا القرارات ، تدبير ورجحان
هنا اشتراكية من صلب واقعنا … تشاد من وحيها للسلم اركان
هنا فلسطين .. تمتد انطلاقتها … ان كان في العرب انصار واعوان
ونحن للوحدة الكبرى دعامتها … ان كان في العرب تفكير وميزان
مدوا يدا نبني دنيانا موحدة … مما استقام بدنيا الخلف بنيان
هذا نشيدي ليوم البعث انشره … وفي معانيه ايضاح وتبيان
وتلك اغنيتي ، والحفل منتظم … لها من القلب تقطيع واوزان

الجزائر — مفدي زكرياء





سيقول البعض : مالهذا الاديب الذي لم نعهده الا باحثا يريد أن يصبح شاعرا ؟
وسيقول البعض الآخر : ولم لايكون شاعرا اذا ما اكتملت له الاداة ؟
وسيقول غير هؤلاء واولئك : انه مهما اكتملت له أداة الشعر فلن تكتمل له اداة التعبير .
اما أنا فاستسمح هؤلاء جميعا لاقول ان الشعر تعبير عن ذات صاحبه ووجدانه وكشف ما يختلج في نفسه من عواطف انسانية .
والشعر كفن وتجربة لا يصدر الا اراحة لهذه العواطف واشباعا لنهم هذه النفس وارضاء لرغبة كامنة فيها .
والباحث او الناقد بعد هذا أقدر على اجتياز تجربة فنية كهذه .

ع . ج

*

لم يكن يعرف دربي
لم يحاول طرق قلبي
لست ادري
الصد ؟
أم غرور ؟
ام لبخل لم يزرني ؟

كنت احيا مع نفسي
ولنفسي
في خيال وبوهم
ولوحدي كنت دوما
مع آلامي وهمي .

ولكم منيت نفسي
بربيع ليس يخلق
بل لكم خادعت نفسي
ان شمسا سوف تشرق
حار فكري
ضاق صدري
كل آمالي تموت

آه ما اظمأ قلبي
لشعاع من سناء
من سنا الحب الجميل
ليت نورا من ضياه
يسلك الدرب اليه

لم كان
ذات يوم .. ذات لحظة
عندما دق وحلا
بعدما كان خيالا
بل محالا

* في العدد القادم سننشر تتمة بحث الاستاذ عباس الجراري عن الفولكلور

« دعوة الحق »

زائرا يعلو محياه ضياء وجلال
يفرش الورد ويدعو لحياة
كلها ود وصدق وجمال

اذكري كم كان حلوا ذلك اللقيا البعيد
كيف اكرمنا قدومه
كيف اضحى يوم عيد
لم نشا بسكن ارضنا .. بل مكانا قدسيا
ورفعناه على الراس علينا
وجعلناه الهنا
وعبدناه

ثم ماذا ؟
آه ما تسمع اذني
تاه في الغيب وراح
مات حبي
متقلا بالصمت اعياه الصياح
مات طفلا
لم تكد تكمل ثوبه
لم تتم بعد عشه
قبل ان يرتع .. ان ننعم به
حبنا الاول والآخر مات

مات فجاة
مات في ذاك المساء

عندما قلت : « وداعا »
وتصنعت ثبوتا وشجاعة
وحفرت القبر للطفل باظفار يديك
لم تزل تقطر من آثار جراح
سوف لن يمتصها حتى التراب
ثم قلت : « لم يعد بعد سوى بعض ذكرى »

اصحيح مات حبي ؟
اصحيحما بدا يطرق سمعي .. ما ارى قدامعيني؟
هل صنعت الموت حقا ؟
أم تراني في خيال
ام ترى حلما ببالي ؟
لست ادري
لم اعد اعرف نفسي
ان يكن مات فلم لا زلت أحيا ؟
وسناه ...
لم لا زال يضيء ؟
... ان في قلبي نبضا
وفي جسمي كل دفء
ان في نفسي شوقا
للقاء مع حبي
غير اني لست ادري
أصحيح مات حبي ؟

القاهرة ـ عباس عبد الله الجراري

تصحيح خطا

وقع خطا مطبعي في قصيدة الأخ الاستاذ عبد الكريم التواتي « سر الحياة » المنشورة في العدد الماضي ، ونلفت انتباه القراء الى ان تصويب البيتين الاول والثاني في المقطع الثالث من القصيدة على الشكل الآتي :

وافاضت على رباها رداذات احالت صحراءها جنات
كم سقيناها في سخاء بدمانا ورعينا افنانها بالصلاة

فمعذرة . **« دعوة الحق »**



ينقضي العيش كلمح بالبصر — ومضى العمر خيال وصور

منذ عام يا رفاقي من ترى — قال انا هاهنا نغدو زمر

في رياض هي بالافق ذرى — نزل الحسن حماها واستقر

قد حباها الله من جنته — خضرة الارض وانسام السحر

والربيع الطلق في آفاقها — ملأ الرحب علينا بالزهر

وارتمى الماء على اقدامها — فضة سالت وطوقا من درر

سال في السفح فلما ضمه — الغيل دربا ، استخبى واستتر

وعلى جنبيه غنينا رؤا — نا حبيبا قد تأبى او هجر

ونسينا ان في الدنيا شرو — را وظلما ونفاقا وحذر

نحن في دنيا تملت اغصنا — وبافق بربى الورد زخر

❊ ❊ ❊

يا رفاقي هذه الدنيا التي — ارتجيها والهوى عندي سقر

انا لو كنت لامري مالكا — ولايامي وآفاق العمر

لقضيت الكل في معشبة — بين ماء وظلال وشجر

الفراشات حوالي تطير — ر وشدو الطير شهقات وتر

بيدي ديوان شعر حالم — هو آفاق وشطآن اخر

❊ ❊ ❊

ما ترانا نرتجيه من دنى — ملئت مسخا وآهات وشر

فاسالوا الترب ارواه الحيا — كدم الناس الذي سال هدر

واسالوا الدنيا عن الحق عن — العدل والتقوى ، فلن تلقوا اثر

كم يد قبلها الناس وقد   غطت الافق دماء وحفر

واناس حرموا الارض التي   حرثوها عمروها بالثمر

واناس حملوا السبحة لا   لصلاح او لتقوى ، بل لشر

وفتاة تدعي الطهر وما   سلكت يوما الى الطهر السير

اي عود قدسي لم تحـ   ـطمه كف الكفر لحنا ووتر

اي لحن عبقري لم يتبـ   ـه بكاء وعويل وعبر

* * *

يارفاق الدرب والدرب بنا   روضة ملأى بورد وزهر

نحن نحيا مرة واحدة   فلنقض العمر بشرا وسمر

نقبل الدنيا على علاتها   نحن لا نملك تحويل القدر

نحن نحيا مثل (سزيف) اذا   نحمل الصخر الى السفح انحدر

تلعن الدرب الذي نسلكه   وارى الدرب بنا ما ان شعر

ترسل الدمع على ايامنا   كلما لاح شعاع او غبر

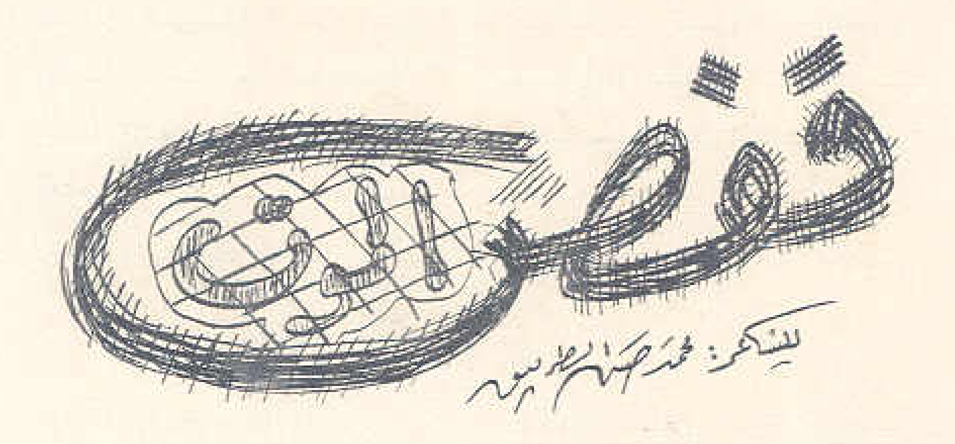
كلما اذن ديك فى الضحى   ابتداء يوم ويوم قد عبر

فلندع احزاننا ولنتمـ   ـلى غناء ولحونا ... لا عبر

ان تخن (ليلى) فما (ليلى) سوى   امرأة منها بدنيانا اخر

ولنعش اعمارنا معشبة   قبلما نغدو حديثا وخبر

القصر الكبير ـ محمد الخمار



اوحش الدهر عيشتي ... لا شقيقي   عاد ياسو جراح قلبي العميقة
يوم ان ضيع الزمان حقوقي   وتلاشت ايام عمري العتيقة
لم اعد اعرف الغداة طريقي   فمتى يدرك « السجين » طريقه ؟
ومتى يغمر السماء بريقي   ومتى يجد الشقيق شقيقه ؟
انا كالحائر اليؤوس الغريق   نزعة الموت تستفز عروقه
فمن العزلة اتخذت رفيقي   حينما حجب النهار شروقه
ايه يا ربة الشعور الرقيق   ياصفا القلب في الخوالي السحيقة!
كنت في الكون كالهزار الطليق   في ذرى السحر والجنان الرشيقة
عشت ازهو بقدي الممشوق   واغني مع الطيور الطليقة
وبدا اليوم حاصب في طريقي   ورماني بالصافنات الزهوقة
واذا بي في « المأسر المشنوق »   يوقد الغم بين صدري حريقه
(قفص الموت) فيه قد جف ريقي   وانتهت فيه اغنياتي الرقيقة



الاسراء والمعراج معجزة كبرى

للشاعر: عوض عبدالرحمن الترابي

سرى والبراق له مركب ... بليل يغلفه الغيهب

وجبريل نعم الرفيق الامين ... لخير الورى المصطفى يصحب

ومن ارض مكة اسرى به ... الاله ومن بيته يذهب

الى مهبط الرسل والانبياء ... فلسطين فيها له مارب

توقف سير الزمان له ... فاوقاته بعد لا تحسب

وجاز المكان وغاياته ... فابعاده كلها تقرب

طوى الارض كالبرق فى لمحة ... ولاح له المسجد الطيب

مكان به اول القبلتين ... الى الله من غيره اقرب

تلقاه جمع من الانبياء ... وكل بمقدمه رحبوا

وغص المكان بمن جاءه ... ملائك عن حبهم اعربوا

وصلى اماما وهم خلفه ... فاحمد فيهم هو الكوكب

فمن افصح الناس فى قوله ... وسحر البيان له ينسب ؟

ومن يستنار بآرائه ... سواه ومن للعلا يندب ؟

ومن صفوة الله فى خلقه ... وسيرته المسك او اطيب ؟

محمد صلى عليه الاله ... وها هو ذاك له يطلب

وعاد فحدث عما رآه .. ... ورسل المهيمن لا تكذب

هو الوحي يقطر من شفتيه ... اذا ما يحدث او يخطب

هوالوحي وليس يشق على فاطر السـ ... ـماوات والارض او يصعب

يؤيد بالمعجزات الرسول ... ويحمى النبي فلا يغلب

وان كان اسراؤه معجبا ... فمعراجه للسما اعجب

دعاه اليه العلي القدير   وشرفه بلقا الحضرة
فشق السماوات سبعا على   جناح الملاك الى الغاية
وشاهد من مدهشات الامور   عجائب فى هذه الرحلة
تجلى له الحق فى هيئة   تعالت عن الشكل والصورة
راى الله نورا على عرشه   يحيط به النور كالهالة
فخر له ساجدا خاشعا   مقرا له بالربوبية
الهي تباركت من خالق   تفردت بالملك والقدرة
وناداه صوت من الملكوت   لرب الجلالة والعزة
تقدم الى سدرة المنتهى   محمد اقبل الى ساحتي
عليك السلام الزكي الطهور   نبي الهداية والرحمة
فانت الحبيب وانت الامين   وانت المشفع فى الامة
وانت الصفي وانت النجي   وذو الحوض فى روضة الجنة
وقال الاله فرضت الصلاة   ليبقى عبيدي فى طاعتي
وما هي الا صلاة لهم   وبعد عن الفحش والريبة
يؤدون خمسا ولكنها   كخمسين فى الاجر والكثرة
فسبحان من عز فى ملكه   بغير شريك ولا اخوة
واستاذن الله في عودة   وحمدا لذي الفضل والمنة
فانعم بهذا الرسول الكريم   واحبب بهاتيك من ليلة
وعاد الى مضجع دافيء   وفي الصبح اخبر بالقصة

العرائش :عوض عبد الرحمان الترابي



معرض الكتب



شعر: بول جيرالدي

ترجمة نقولا فياض. علق عليه

الاستاذ: حسن الوراكلي

تلطف الصديق الاديب الاستــاذ احمد عويدات فبعث لي بهذا الكتاب مع مجموعة اخرى ، حدثتك عن احدها في مجلة « النصر » التي كانت تصدر بتطوان ، وهو كتاب « وحل في جبين الشمس » للاستاذ سمير تنير ، وحدثتك عن آخر في جريدة الحسنى الاسبوعية وهــو كتــاب « اضــواء » لــلاستــاذ نبيــل فريد شامي ، واود اليوم ان احدثك عن « انت وانـا » هذه القادة الفرنسية الحسناء لبول جيرالدي التــي قدمها اخيرا لقراء العربيــة مترجــم بحيــرة لامارتين الدكتور نقولا فياض .

على انني احب قبل الخوض في الحديث عنها ان اقدم لذلك بمقدمة احسبها انا شديدة الصلة ، وثيقــة الوشيجة ب « انت وانا » وقد يحسبهــا غيــري من مستهلكي الكلمة وعشاقها بعيدة البعد كله ، ونائيــة النائي جميعه عن « انت وانا » .

اذا كانت العملية الشعرية التي يعانيهــا الانســان الفنان ، اي الانسان المستجيب ـ ايجابيا ـ لهتافــات العاطفة والملبي ـ ايجابيا ايضــا ـ لنداءات الوجدان ، اذا كانت العملية الشعرية كناية عن « امتصاص » لاي « مؤثر » من العاطفة والطبيعة او غيرهما ثم « تمثيل » لذلك « المؤثر » . او بعبــارة غيــر هــذه : اذا كانــت العملية الشعرية « حملا » « لمؤثر » من طرف الانســان الفنان ثم « وضع » لذلك الحمل فانه من العبث الذي ما بعده عبث ان يفكر انسان ـ حتى ولو كان فنانا ـ في ان يتبنى « وليدا » « حمل » به غيره وعانى ما عانــاه لحظات « وضعه » ، ويحاول ان يجعلــه يحيــا ضمن « مخلوقات » ينكرها وتنكره ، وفي بيئة بعيدة عنـــه بعده عنهـــــا .

واغلب الظن انك لن تنكر هذا القول اذا علمت ان المؤثر ـ سواء كان مصدره عاطفة او طبيعة او غيرهما ذلك الذي يبث تاثيره في الانســان المستجيــب لــه يعطي لذلك التاثير حياة جياشــة بالحركــة ، حافلــة بالظلال ، مفعمة بالايحاءات ، وليس في وســع الفــاظ وطاقة كلمات ان (تشكــل هــذا التاثيــر) ـ في عبارة الاستاذ خيري ضامن ـ وتضعه مخلوقا فنيا ذا روعة واشراقة غير الفاظ المؤثر ـ بالفتح ـ وكلماته ، وهذه الحقيقة تسلمنا الى حقيقة اخرى هي انه متى غيــرت هذه الالفاظ ـ اي الفاظ المؤثــر بالفتــح ـ وكلماتــه ذهبت روعة التاثير او المخلوق الفني وتلاشت اشراقته

ولكي لا اتهم بالغمــوض في القــول والركاكــة في التعبير ابادرك بعبارة اخرى لعلها تشرح ما تقدمها من عبارات ، هي ان مقدمات العملية الشعرية وحوافزهــا واطوار تكوينها النفسية والزمنية والمجتمعية ايضــا ، ولحظات وضعها كل ذلك يترك خطوطا وملامح وظــلالا وايحاءات في الاثر القصيدي ، وهو بالتالــي يتقلــص ، ويكاد يتلاشى تماما ويضمحل عند ما يعمــد احــد الى نقل الاثر القصيدي من لغته الى لغة اخرى ، ومن هنا تكون عملية الترجمة الادبية بالخصوص والشعريــة بالاخص امرا عسيرا جدا ان لم تقل مستحيلا ، وهذا هو ما دفع باللورد بيرون الى ان يقــول : (من اكبــر المصائب على المؤلف ان يترجم الى لغة اجنبية) ، ودفع قبله بابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الى ان يقول في كتابه (الحيوان » : (الشعر لا يستطاع ان يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حول تقطع نظمه ، وبطل وزنه، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ، والكلام المنثور المبتدا على ذلك احسن واوقع من المنثور الــذي

حول من موزون الشعر) . كما تحدث عن ذلك ابو حيان التوحيدي في كتابه (الامتاع والمؤانسة) والصلاح الصفدي ، وكثير من نقاد الادب المحدثين .

اما الصلاح الصفدي فيرى ان للترجمة من لغة الى اخرى طريقتين لا ثالثة لهما :

الاولى هي طريقة يوحنا ابن البطريق وغيره ، وهذه الطريقة في الترجمة طريقة عقيمة ورديئة ، وذلك لانها تلتزم (الحرفية) في الترجمة ، ومن شأن الترجمة الحرفية دائما ان تمسخ الاثر المنقول وتذهب بروعته وحسنه ، وتوقع المترجم في ركاكة اسلوب لا تتصور وغرابة تعبير لا توصف .

والطريقة الثانية ــ في راي الصفدي ــ هي طريقة حنين بن اسحاق والجوهري وغيرهما ، وهذه الطريقة تمتاز عن الاخرى بانها لا تلتزم الحرفية وتستند الى التعريب بحيث ياخذ المترجم الجملة او العبارة او الفقرة من اللغة الاجنبية ويقراها فيحصل معناها في ذهنه ثم يعبر عنها بلغته ، ويشهد على جودة هذه الطريقة وروعتها ما عربه حنين بن اسحاق من كتب الطب والمنطق الطبيعي والمنطق الالهي .

وحق اكيد ان الذين يعتمدون على الترجمة الحرفية في نقل الاثر الادبي من لغته الى اللغة العربية انما يقدمون لقرائها هيكله ــ اي الاثر الادبي ــ بدون لحم ولا دم .. ولا احساس .

اما الذين يقراون الشعر الاجنبي ويتذوقونه ، ويجترون التجربة النفسية التي مرت بصاحبه اجترارا فيه من الصدق والحرارة والايجابية حظ كبير فهؤلاء يمكنهم ــ على شريطة ان يكونوا ممن يجيدون لغتهم الام ويعرفون اسرارها ــ ان يقدموا لنا اثرا ادبيا ليس يخلو من التلوين والتظليل والايحاءات الموسيقى التي كان (يزخر) بها في لغته الاصلية .

ومن هؤلاء مترجم رائعة جيرالدي « انت وانا » الدكتور نقولا فياض ذي الريشة الساحرة التي ما فتئت ــ منذ عرف صاحبها عطاء الحرف ورسالة الكلمة ــ تتحف معرض الكتاب العربي بكثير من معطياتها مثل : « الخداع والحب » و « حول سرير الامبراطور » و «ربف الاقحوان» و «بعد الاصيل» و «دنيا واديان» .

وهو بالاضافة الى ذلك مترجم قدير ، يجيد اللغتين : العربية والفرنسية اجادة لا سبيل الى انكارها .. « وانت وانا » هي آخر اثر ادبي ــ فيما اعلم ــ نقله من الفرنسية الى العربية ، وقد ترجمه ــ نظما ــ ولذلك فانت تجده مضطرا ــ احيانا ــ الى الاتيان بزيادات قد لا تجدها في النص الفرنسي ، ولكنها زيادات تحصل من كلام الشاعر ، وهي لا تضعف قوله، بل بخلاف ذلك تفسره تفسيرا موافقا كما يقول الدكتور فياض نفسه ، ويبقى المعنى العام قائما ، ولكن القالب يختلف .

و « انت وانا » قصائد غنية بالصور الخضراء ، تبرزها كلمات ندية الوقع ، تتحم بضياء العاطفة ، والعاطفة على حد قول صواب لبودلير هي سكرة القلب ومن سكرة القلب هذه طفحت « انت وانا » بنغم عذب، ولفظ رائق ، اثنين من اعياد العطاء الادبي .. الرائع .

استمع الى « بوح » فهي اغنية حلوة صغيرة ، كلماتها لن تهرم ، ومعانيها لن تموت :

احبك يا امي حتى الجنون
احبك حبا يفوق الظنون
فهل تعلمين ؟
احبك .. هذا كلام معاد
وما كان يوما يؤدي المراد
ولكن احبك .. كيف العمل
احبك .. والحب غير الغزل
فهل تشعرين ؟
وهل من سبيل لان تكشفي
مجاهل نفسي وان تعرفي
فما في الحروف بيان يفي ..
افتش ، ابحث عن قافية
تفذي الامل
فليس صحيحا بان القبل
هي الكافية
احس على الصدر عبئا ثقيلا
وكم اتمنى الحديث طويلا
لاشبع روحي واروي القليل
فان الحياة حياة الكلام
تفرج عن كربة المستهام
اريد الكلام ، اريد ، اريد
ولكن لو انقاد لي خاطري
وجئت بملحمة الشاعر

فهل كان ذلك اغنى لسانا ؟
ـ اجيبي ـ وهل كان اجلى بيانا ؟
من ان اضمك نحو صدري
وابث في اذنيك سري
واقول في نثر ولف
واعيد الفا بعد الف :
يا امي ، انت مناي ، انت
انـــــت . . .

ومن متانة الحبكة وروعة الاسلوب تجد عفوية شامخة وبساطة رائعة تضفي على شعر « انت وانا » جمالا دفاقا ليس الى تصويره من سبيل ، وهذه (غيرة) دليل محسوس على ذلك ، اقراها ثم اعد قراءتها ، وتأمل كلماتها ، فستجدها (غيرة) حقا ، صاحبها قد استبدت به الغيرة ، فهو قد اصبح كئيب النفس حزينها ، لان حبيبته قد بعدت عنه اذ انتقلت الى سهول الريف تمرح فيها وتلهو بينما فكره يطير شوقا اليها ويهز روحه الوجد فيبكي وملء راسه رسمها الحلو ، الجميل ، وفي لحظة من الشوق العنيف الذي يسبب له ضيقا وصداعا يتمنى ان تبيت حبيبته، ولو قليلا ، على قليل من هذا الضيق والصداع اللذين يعاني منهما ما يعانيه .. بعيدا عنها .

استمع الى « غيرة » .. فهي حتما ستاخذ بمجامع قلبـــــك :

انا والله غيران
كئيب النفس ، ولهان
وانت بعيدة عني
وبعض البعد نسيان
انت في الريف تمرحين وفكري
كل يوم يطير شوقا اليك
عندك الاهل ، لا يسليك منهم
احد ، مع ذا اغار عليك
ان روحي سكري وقد هزها
الوجد فابكي والضحك في ناظريك
واخضرار الربيع في صفحة
الافق وفوق الربى وفي عينيك
رسمك الحلو ملء راسي كأني
لم ازل حالما على ساعديك

انت ذا اليوم فوق كل جمال
من بعيد ارى سنى مقلتيك
وعلى الراس قبعة تنفذ
الشمس ابتساما منها على وجنتيك
جو باريس زاد قلبي ظما
قد حرمت الرحيق من شفتيك
لم اكن في الغرام عمري
كما انا اليوم في صراع
وكم تمنيت في التباعي
بان تكوني على التباع
لا تحسبي ذاك كرها
فالكره ما كان من طباعي
لكن صبري على النوى لم
يكن لدى بمستطاع
ابيت اشكو ولا معين
فلا لساني ولا يراعي
وصرت ارجو لضيق صدري
وطول همي وقصر باعي
بان تبيتي ، ولولا قليلا
على قليل من الصداع . . .

ثم استمع الى هذه القطعة المسماة ب (حنو ..) انها معرض اخاذ لسرعة الخفقة ، والتهاب الاحاسيس، وثورة العواطف :

حدثيني ، ان الحديث مدامي
لا تكوني بخيلة في الكلام
اتحبينني ؟ دعي الشغل ، خلي
عنك هذا اذا ، تعالي امامي
اجلسي جانبي هنا ، لا تخافي
ليس يؤذي الشباب ضيق المقام
ابعدي هذه الوسائد عنا
لتظلي جميلة الهندام
آه ، لو تعرفين مبلغ حبي
آه .. لو تسبرين ـ غور هيامي
انظري ، انظري ، الم تنبئك
عيناي عن مدى احلامي ؟
انني قد وهبت كل حياتي
لك ، ما في دمي وما في عظامي

هل سمعت وهل فهمت ؟ اجيبي
ان حبي هذا المساء جنون
كل ما فيه فتنة والتهاب
كل ما فيه رقة وحنين
ان سمعت وان فهمت فحسبي
منك هذا ، وكل صعب يهون

* * *

قربي راسك للنور ، دعيني
اضع الكف على هذا الجبين
اهتدي منه الى السر المصون
ان في عينيك تاريخ فتوني

هل صحيح ذاك ، قولي هل صحيح ؟
اي نعم ، ما كذبت فيك ظنوني
آه من حبي لك ، حبي لك
كم اود اليوم ان اوجعك ..

وبعـــد :

فهذه كلمة قصيرة عن « انت وانا » ، الحسناء الباريسية التي انفلتت ـ كما ينفلت النور من الافق الفاقي ـ من قلم بول جيرالدي .. ولو لم يكن للدكتور نقولا فياض فضل في دنيا التاليف والترجمة غير تقديمه هذه الحسناء لقراء السربية لكفاه ذلك فضلا .. واغناه عن كل فضل غيره .

تطوان : حسن الوراكلي



الطّالبة والأستاذ

قصّة هنديّة بقلم :

بورشوطام د وبهال ترجمة الأستاذ عبد اللطيف الخطيب

قال الاستاذ « انني احس يا « هارونة » بان التعب قد اخذ مني ماخذه »

قالت الطالبة بصوت فيه رقة وحنان « انك قد اجهدت نفسك حقا »

قال الاستاذ وهو ينظر الى الفتاة « ان آثار العياء بادية عليك أيضا »

قالت الفتاة وهي تبتسم بغية تطمين الاستاذ « ان تعبي عديم الاهمية » .

نشأت « هارونة » في بيت غني فجعلت تدرس الرسم والرقص والموسيقى . وقد ذاع اسمها في هذا الفن الاخير وسنها لا يتجاوز العشرين . اما الاستاذ « كومود » الذي كان يدير كلية الموسيقى فقد اخذ يحس بعطف كبير على طالبته الفتاة التي شرعت تشعر بالسعادة لتقدير الاستاذ الكبير لمزاياها .

وكان الجمهور يعجب بالفنانين ويخصهما بالتصفيق الحار . فقد كانت الفتاة تغني وتضرب على الاوتار بمهارة كبرى فكان الاستاذ يعجب بسحر صوتها وبرقة حركاتها الرشيقة . ورقص الاستاذ نفسه رقصة آلهة الرقص فاحبته « هارونة » وقدرته غاية التقدير .

وعادت الطالبة فاخبرت الاستاذ بانها قد اعدت الطعام ، غير ان الاستاذ اخبرها بانه لن يجلس أبدا الى المائدة الا بعد الصلاة لآلهة الرقص ، وعاب عليها نسيانها لهذا الواجب المقدس . واستسمحت الطالبة استاذها على ذلك النسيان ثم انصرفت لاعداد مراسيم الصلاة .

اوقدت « هارونة » الشمعة الصغيرة وقربت الصحن الفضي المملوء بالبخور والزهور وشرع الاستاذ يتلو صلواته بصوت يرتعش من فرط الخشوع . وكان في احساسه الغريب هذا يريد ان يواري وجهه بين نهدي الفتاة ليبكي كما يبكي الطفل . وكانت الطالبة غارقة في عبادتها لا تنظر الى الاستاذ الذي كان ينظر اليها احيانا في شرود . وما كان في مستطاع الطالبة ان تشك في ان الاستاذ ينتابه الخشوع المسيطر وفي ان موقفه كموقف الاب بالقياس اليها والى جميع الطالبات

واخذ كل منهما نصيب من الطعام بعد الانتهاء من الصلاة . ولم يكن كلاهما ياكل الا ما يقيم به الاود . وعند ما انصرف الطلبة توجه الاستاذ الى حجرته ليستسلم للتدبر جالسا وقد وضع يديه على ركبتيه . ولم يكن في مستطاع احد من الطلبة ان يدخل حرمه هذا اذا كان الليل . غير ان الطالبة لم تكن تستطيع ان تتركه وحيدا في تلك الحالة الروحانية ، وحدث ذات يوم ان استفاق « كومود » فسال الطالبة عن سبب وقوفها بجانبه فاعتذرت له قائلة انها ظنته مريضا فجاءت لتكون على مقربة منه اذا احتاج اليها في شيء .

قال الاستاذ انه كان مريضا حقا دون ان يستطيع اتمام كلامه ، فلما استفهمته الطالبة عن عدم اطمئنانه اليها اجابها بانها غير قادرة على ادراك نوع مرضه وموكدا انه يشعر بالجنون من فرط اليأس .

وسالت الطالبة استاذها عن سبب يأسه والمه فلما اجابها بكلام فيه شيء من القسوة انصرفت الى حجرتها وهي تمشي مشيا وئيدا .

وعكف الاستاذ على الفن خلال عشرين عاما لم يشعر فيها باي احساس من هذه الاحاسيس التي تضطرب لها نفوس البشر . غير انه احس بتغير غريب في اليوم الذي اقبلت فيه الطالبة « هارونة » على المدرسة ثم شرع يتيه في التفكير فيها . ولم يعد يستطيع بعد ذلك ان يصرف نظره عنها كلما اقتربت منه او يعجز عن الاحتفاظ بوجهها في مخيلته كلما انصرفت عنه . وقد وصل به الامر ان اخذت احلامه تضطرب برؤيتها .

ولم تكن الفتاة تعلم من ذلك شيئا . فهي لم تكن تعلم انها مسؤولة عن اضطراب استاذها الوقور المبجل وقد اندهشت واستبد بها الارتباك عند ما حاولت مساعدته على استعادة طمانينته وهدوء نفسه .

ولم تعد الطالبة الفتاة تنعم براحة النوم لانها كانت تبحث في سلوكها عن الاسباب المحتملة لاضطراب نفس الاستاذ .

ولا يكاد الصبح يتنفس وتشرع الطيور في تغريدها حتى تسارع الى حجرة الاستاذ فتجده قد اخذ يتهيأ للصلاة . غير انها لاحظت ذات يوم على الاستاذ انه لم يعد يئيسا وان وصول الطلبة والاساتذة الى المدرسة قد عاد يلهيه ويسليه .

وكانت الطالبة تفرغ بعد العشاء للعزف فلا تعود الى حجرتها للنوم الا بعد ان ينتصف الليل فتمر بنافذة الاستاذ الذي كان يعجب بسهادها ويستغرب له فلا تجيبه الا وجلة عند ما يلاحظ عليها قرب الصباح .

واقترب منها الاستاذ ذات ليلة فلما رفعت اليه عينيها هالها أمره من فرط غلبة الشهوة عليه ففرت منه فلما رآها ترتعش من الخوف وتنادي اباها بصوت مرتجف ادرك سوء عمله وأحس بالعار والمهانة قبل ان يستسمحها ويبتعد عنها مسرعا دون ان ينتظر منها جوابا .

ولما جاءت الفتاة الى حجرة الاستاذ في صباح الغد وجدته جالسا وقد وضع يديه على ركبتيه فذهبت الى المعبد للصلاة . فلما عادت وجدته على نفس الحالة فاقتربت منه مستغربة ووضعت يدها عليه فاذا الاستاذ جثة هامدة باردة . ولم تتمالك الفتاة امام تلك المفاجأة من الصراخ فاغمي عليها وخرت عند قدمي الاستاذ .

الرباط ـ ترجمة عبد اللطيف الخطيب



كهف الرماة

للأستاذ : محمد الآمري

ذرف على الستين وكان مع ذلك يبدو منتصب القامة ، وقد خطت السنون على جبهته وخديه اخاديد عميقة تنبيء عن معاناة احداث وكفاح مرير ، عرفته صائدا للاسماك ، يتنقل بين الغدر والوديان بـ (غرافه) الذي صنعه بيده من القنب المتين ، وسلته التي كان كل امله ان يعود بها الى المدينة مع الغدوة وقد نـاء يحملها مما تحويه من سمك بلدي و (بوقـة) ، ولا يكاد يسند ظهره الى اسفل صومعة المدرسة العنانية بضع ساعات حتى يكون الزبناء قد اتوا على ما فيها ليجمع ثمن سلعته النافقة في كيس من الكتان وليدخل على الاولاد بعد أن يقتني ما تحتاجه الدار من مؤونة . فاذا نفدت الدريهمات بعد يومين او ثلاثة فليحمل (غرافه) وعصيه وسلته وليتجه راجلا الى نهر او غدير غير الذي بات به في المرة الاخيرة ، قد يكون سبو قرب قنطرة مولاي رشيد وقد يكون وادي فاس او بعض روافده ، وقد يكون احدى سواقي (بوركايز) ولاسيما (العسرية) التي لا تضن عليه مما بها من (بوقة) سمينة بيضاء كالفضة وسمك بلدي ذي زعانف كالعاج ، وقد يكون (عين السمن) تلك التي ترتعش فرائصه كلما عزم على الذهاب اليها ، لانه لا ينسى تلك الليلة من ليالي مارس وقد انفتحت انابيب السماء وتحولت الى بحر زخار تتلاطم امواجه ليومض برق خاطف ويهزم رعد قاصف ، كان ناصبا (غرافه) بمضيق على بعد مسافة من رأس العين معتمدا على العصا الصغيرة التي تدع فم الغراف مفتوحا حتى تلج الاسماك الى الدخل ليشعر بدخولها بواسطة ابهام رجله اليمنى الذي يكون عادة داخل احدى فتحات الشبكة ، ليسرع برفع « الغراف » بواسطة العصا ويخرج ما به من الاسماك ملقيا به الى السلة التي يحملها على ظهره وقد حاذى قمها قفاه ، بينما هو كذلك واذا به يلمح من بعيد موكبا يحمل شموعا ويسمع اصوات صرنايات ودقات طبول تؤلف جميعها نغمة جبلية كان يرقص لها لو سمعها في غير هذا الموقف ، تتخلل كل ذلك زغاريد نساء من نوع غريب وفي وسط الموكب فارس يمتطي جوادا يهتز للنغمات الجبلية ، والى جانبه بغلة على متنها امرأة في ثياب العرس ، هل يمكن ان يكون موكب هذا العرس لاناسي في مثل هذه الليلة الماطرة ؟ وتلك الشموع لم لا تطفئها الامطار والعواصف ؟ انه عرس اهل المكان من الجنون ، ليبق في مكانه اذا قبل ان يلمحوه ويوقعوا به ، ولا يكاد يبتعد الموكب حتى يخرج من الساقية ويعجل بالعودة الى المدينة حيث يقضي نصف شهر صريع الحمى لولا ان جاءه الفرج على يد الفقيه (الغمري) الذي كتب له عدة (زلافات» بالصمغ محا ما ما بها بماء الزهر وشربها ، كما كتب له عدة حروز يخر بها وحجابا حفظه في غلاف من النحاس الاصفر وعلقه عليه ، ولم يعد يقصد عين السمن الا بضع مرات في السنة رغم ان الفقيهالغمري اكدله ان الحجاب المغلف بالنحاس سيقيه كل شر ويبدرا عنه العفاريت والشياطين ، سألته وقد لقيته خارجا من باب (الشاكمة) .

على من ستكون ضيفا هذه الليلة يا عمي هشوم ؟

ساروح الى (العسرية) ان شاء الله ، فالجو ينذر بالمطر وبوسعي أن الجأ الى (كهف الرماة) حيث اجمع حطبا واشعل نارا اتدفأ بها .

— انك لم تحدثني عن هذا الكهف من قبل

— انني مستعجل وبوسعي ان احدثك عنه اذا استطعت ان تقطع معي بعض المسافة ، أم انك لا

تستطيع ؟ فانتم شباب اليوم ضعيفو القوى تعلمتم العجز بركوب (عود الريح) والطوبيس والطاكسيات وغيرها ، لذلك كنتم تشتكون دائما من امراض متعددة، فهذه امراض الكبد ، وهذا .. وتذهبون عند اطباء النصارى ليحرموا عليكم اكل كذا وكذا من نعم الله ، وليغرزوا في لحومكم الابر والشوكات ، اتعلم انني بقيت وانا في ضعف سنك صحيح الاضراس والاسنان ولا امتنع عن اكل شيء مما احل الله دون شوكة الطبيب .

— معك الحق يا عمي هشوم في كل ما تقول ، هيا حدثني عن الكهف الذي ذكرت . اين هي تلك الايام التي كانت ايام شجاعة . وخير وبركة . اتدري ان ريالا واحدا كان يكفي لمؤونة شهر ، من زرع وزيت وسمن وعسل وخليع وقطنية ، وغيرها من لحم وخضر ؟ لكن الريال اليوم لا يساوي الا ثلاثة اعراش من النعناع ، آه على تلك الايام ، وحمد الله ، كانت ايام بطولة وشجاعة ، كان رماة المدينة وشجعانها يخرجون للصيد « بمكحلاتهم » فيقضون عدة ايام في الفرجة والنزهة والصيد فما شئت من حجل ، وما شئت من ارانب ، وما شئت من دجاج الماء علاوة على الخرفان التي يتفارضون في شرائها من الدواوير المجاورة ، وفي الليل كانوا يلتجئون الى كهف فسيح يسع اكثر من مائة فارس يقع قرب النهر ليسمروا على الامداح والسماع والغناء ، اين هو الشيخ العربي الذي كان لا يخطىء الهدف ابدا ؟ ، واين هو المعلم العربي الذي كان لا يفلت (الزوائة) ؟ واين (ابا عباس) مضحك الرماة واكثرهم لجوءا الى صيد السمك بيده ، فقد كان (بدادا) بارعا ؟ كل هؤلاء ذهبوا الحقنا الله بهم مسلمين .. وبقي ذلك الكهف يحمل اسمهم تخليدا لبطولتهم .

— كان هذا حقا ولكن الزمان مع ذلك لا ينسى أن الاستعمار دخل الى البلاد بالرغم عن شجاعتهم وبطولتهم .

— لا تقل هذا ، واستغفرا لله يا ولدي ، لم يدخل النصارى الى البلاد لجبن في شجاعة ابطالنا ، ولكن لحيل النصارى ومكرهم واتخاذ صنائع لهم من ذوي البيوتات ممن كانت لهم حماية الدولة الفلانية او غيرها ، فكان ما يغدق عليهم من (الويز) وسيلة لشراء الضمائر واتخاذ الاعوان والاصحاب واستغلال هؤلاء لهتك الاعراض ، انت لا تعرف عبد القادر بن شهبون تصور انه كان يجلس على (قرتالته) بباب الدرب وحوله اعوانه الملحون — وكان من اصحاب الحمايات — فلا تمر امراة يروقه جمالها حتى يوعز الى اصحابه بحملها الى منزله ، وقد يروق له ان يوعز الى احد خدامه بخرق عمامة او (قب) احد المارة بحبة من مكحلته وقد تصيب المسكين في الراس فيقع الى الارض (يغركل) في دمه ، يضاف الى كل ذلك كثرة الفتانين والمشعوذين وقطاع الطرق، وكثرةالجواسيس في ثياب مختلفة ، ومع ذلك فقد كافح المخلصون ، واستشهد كثير من الشهداء ، حتى النساء ساهمن بحظ وافر ، رحمك الله يا عمتي نجمة ، فلقد صعدت الى السطح لتطل على مواكب المجاهدين واذا بها تجد نصرانيا مختبئا بين (شقوف) القرس وقد هرب من (فوندة) للنصارى هجم عليها ثلة من الشبان وكان بها نصارى كثيرون .. يتناولون طعام الغداء ، فما كان من العمة نجمة الا ان حملت ركيزة من ركائز السطح التي ترفع بها الحبال وقدنشرت عليها الثياب، واخذت تطعنه وتضربه على راسه وهو يستعطف : (اوجه مولانا ، انا تسلم) خذي ما عندي من لويز ، وثيابي وكل ما عندي ولكن نجمة كانت مسلمة لم تكف عنه حتى تركته صريعا .

وهب ريح بارد وبدات الامطار تنزل خفيفة لتشتد بعد حين فحاولت صرفه عن الذهاب للصيد ، ولكنه اصر على متابعة سيره .

وقبل ان اودعه داعيا له بصيد غزير ، احتد عمي هشوم وهو يقول : متى كان المطر حائلا دون الرجل والعمل من اجل قوت اولاده ؟ ثم انني — بارك الله فيك — لم يسبق لي وقد تجاوزت الستين ان قبلت الصدقة من احد ! .

الرباط — محمد الامري



مؤتمر الاتحاد النسوي العربي

انعقد ببيروت ، خلال الشهر الفارط ، مؤتمر الاتحاد النسوي ، وهو عبارة عن لقاء بين النساء العربيات ينظم مرة كل ثلاثة اعوام ، تدرس فيه مشاكل المراة العربية المعاصرة ، وتتخذ فيه قرارات وتوصيات تهدف الى تسهيل ترقية الجنس اللطيف ببلادنا العربية . وقد اشترك في هذا المؤتمر كل من لبنان والجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا ، والعراق ، وليبيا ، والاردن ، وفلسطين ، وتونس ، وكان الموضوع الرئيسي في جدول الاعمال ، بحث الوسائل التي تتيح للمراة العربية ان تشارك في المؤتمرات العالمية التي تعقد سواء باوربا او بامريكا ، بعد ان اصبحت هذه المشاركة ضرورية لتبليغ صوت النساء العربيات الى الهيئات النسوية الدولية ، واعطاء صورة مشرقة عن نشاطهن وتقدمهن .

وقد تناولت مختلف المحاضرات التي القيت في هذا المؤتمر ، دور المراة العربية في البادية ، وفي ممارسة المهن الحرة ، ومزاولة التعليم . واثيرت اثناء المناقشات نقطة تحديد الوسائل المتوفرة للمراة العربية التي تمكنها من ان تكون ممثلة في ميادين السلط التشريعية والتنفيذية والقانونية .. ونوقش كذلك موضوع مشاركة المراة العربية مشاركة مباشرة وفعالة في نهضة الاقطار الحديثة العهد بالاستقلال .

على انه تجب الاشارة الى ان المحور الاساسي لكل مناقشات المؤتمر ، كان يدور حول الدفاع عن القوانين المدنية التي تحمي حقوق المراة وقد اكدت المتحدثات في المؤتمر ان القوانين المدنية المطبقة في كل من تونس والعراق ، والقاضية بمنع تعدد الزوجات ، والمحددة لشروط الطلاق ، هي في اساسها مستوحاة من الشريعة الاسلامية .

وقد لاحظت المؤتمرات ان المراة في كل من تونس والعراق والجمهورية العربية والجزائر ، قد نجحت في ان تفرض وجودها ، وتضطلع بمسؤولياتها ..

وهذه الملاحظة لها نصيب كبير من الصحة ، وبخاصة في الجزائر التي مرت بتجربة ثورية ساعدت المراة على ان تقطع اشواطا بعيدة في التقدم والتطور ، نتيجة لمقتضيات ظروف المعركة التي حتمت مشاركة المراة في خوض غمار الحرب ، والاضطلاع بمسؤولياتها ، ورغم المحاولات المنظمة التي دبرها الاستعمار الفرنسي للابقاء على المراة الجزائرية سجينة البيت ، او ضحية لاضواء حضارة براقة ، فان التطورات التي واكبت الثورة الجزائرية جعلت المراة تتنبه الى السبل القويمة لتحقيق التطور المنشود ، وبذلك استطاعت المراة الجزائرية ان تتخلى عن الحجاب ، بعد ان اصبح عائقا لها في كفاحها ، واستطاعت ان تاخذ نصيبها من التعليم والتجربة ، نابذة التقاليد المتجاوزة وآخذة بالاسباب اللازمة لبناء مجتمع جديد .

ومن اسف ان المغرب لم يشارك في هذا المؤتمر الهام حتى تستطيع ممثلاته ان يعطين فكرة عن مدى التقدم الذي حققته المراة المغربية ، وحتى يمكنهن ان يفدن من الملاحظات والخبرات التي تتوفر عليها باقي الجمعيات النسوية العربية . ولعل المسؤولية في هذه الغيبة ترجع الى انعدام جمعية نسوية ببلادنا ، لها

مخططات واهداف بعيدة المدى .. فكل ما يوجد لا يعدو ان يكون نواة لمشاريع خيرية ، في حين ان مشكلة تطوير المراة ، رغم ارتباطها الوثيق بمشكلة الرجل ، تتطلب جدية واخلاصا وتنظيما دقيقا ... ولكن هذا موضوع آخر يستحق ان يناقش بمفرده .

التعايش الفكري

وضع الديبلوماسي «كريستوبال دي افيدو » تصميما لاقتراح جديد سيكون له اكبر النجاح في الميدان الثقافي ، فقد لاحظ ان الدولتين العظيمتين اللتين تسيطران على مصير العالم (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) بدأتا انطلاقتهما من سنة 1917 وتابعتا الطريق الى ان توصلتا الى ما هما عليه اليوم . ولذلك فقد طلب من الكاتب المعروف اندريه موروا ، والشاعر الشهير اراكون ، ان يكتبا معا :

(التاريخ المتوازي للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) خلال الفترة الواقعة بين 1917 و 1960.

ومن المعروف ان اندريه موروا ذو اتجاه يميني ، بمعنى انه مناصر للاقتصاد الحر وللديمقراطية الراسمالية ، وسبق له ان قام بعدة رحلات الى العالم الجديد والى بريطانيا ، وكتب عدة مقالات ضمنها انطباعاته عن هذه الاقطار الراسمالية ..

اما لويس اراكون فهو عضو في الحزب الشيوعي الفرنسي ، كتب عدة روايات وقصائد عن الطبقة البروليتارية ..

من اجل ذلك فان هذه المحاولة تثير انتباه النقاد لانها بادرة جديدة من شانها ان تساعد اكثر على فهم مظاهر الاتفاق والاختلاف بين العملاقين ، خاصة وان الكتاب سيطرق الجوانب السياسية والعلمية ، والثقافية والفنية ..

ومن الممكن ان نربط مشروع كتابة « التاريخ المتوازي » بالاتجاه الجديد الذي ظهر في الاتحاد السوفياتي ، والمستند على فكرة خروتشوف في الدعوة الى التعايش السلمي . ذلك ان المتتبع للمراحل التي مر بها الادب السوفياتي يدرك بوضوح قيمة هذا التحول بعد حدوث ما اصطلح النقاد على تسميته بذوبان الجليد .

لقد كان الادب السوفياتي طيلة عهد ستالين خاضعا لتعليمات « الحزب » ، وبوقا للدعاية ، فنتج عن ذلك ان فقد اصالته التي عرف بها في روايات ديستوفسكي وتشيخوف وجوركي .

لقد ظل الفكر السوفياتي خلال عشرين سنة سجينا للوثوقية Dogmatisme فلم يستطع ان يعطينا اعمالا قيمة .. ولكن التغيير الذي احدثته نظرية خروتشوف ، والحرية النسبية التي اصبح يتمتع بها الكتاب السوفياتيون الشبان ، تبشر بان الادب السوفياتي يتحفز للانطلاق ليربط ماضيه بحاضره ، يشهد على ذلك هذا السيل من القصص والاشعار الروسية التي اخذت تغزو السوق الاوربية ، وتلك الدراسات النقدية التي تكتب في المجلات السوفياتية عن « جويس » ، وكافكا ، وهيمنجواي ، وفولكنر . ان حركة الترجمة ناشطة في الشرق ، تنقل الى اللغة الروسية مختلف الاعمال الفكرية الهامة رغم مباينتها للمنهج الماركسي ..

وهذا ما يؤكد بشائر نهضة جديدة بالنسبة للفكر السوفياتي المعاصر الذي اخذ يخرج من القوقعة المذهبية ليلتقي مع باقي الثقافات الانسانية في حوار خصب ، سيكون له اكبر الاثر في توجيه المرحلة الجديدة التي تسعى اليها الانسانية للوصول الى تعايش سلمي ، اساسه تعايش فكري ..

تكريم الفنان

من الاخبار الغريبة التي اوردتها مجلة « المصور» القاهرية ، ان مصلحة الضرائب بالجمهورية العربية حجزت اثاث الفنان الراحل بيرم التونسي لعدم تمكن اولاده من دفع الضريبة الواجبة . وقد تم هذا الحجز في الوقت الذي تحيي فيه الدولة ذكرى بيرم التونسي وتقيم له تمثالا باحدى الميادين ..

وهذه المفارقة تحتم علينا ان نناقش مفهوم تكريم الفنانين .. فقد اعتادت الحكومات والشعوب الا تؤدي ما في عنقها نحو العباقرة من ابنائها الا بعد ان تطويهم اللحود ، اما في حياتهم فكثيرا ما يلاقون الاعراض والتنكر ، ويعانون الويلات من جراء ضيق ذات اليد .. حتى اذا ما انطفأت شموعهم ، هبت

الاجهزة المكلفة في الدولة لتنظيم المهرجانات ، وتهيـــا التابينات والخطب ، وتنشر المناقب والمفاخر .. افلا يكون من الاجدى ان يلقى الفنان في حياته ما هو اهل له من تكريم ورعاية ، لتطمئن نفسه وينصرف الى الانتاج، ويستعيد ثقته بالمثل العليا التي دافع عنها ؟؟

اذ ما ذا افاد بيتهوفن من عبقريته الموسيقية بعد ان تعرض لكل انواع المضايقات والجحود ، ومات وحيدا مجهولا من شعوب العالم ؟

واية قسوة اعظم من موت أستاذ كبير مثـــل يوسف كرم ، وشاعر نابغة مثل عبد الرحمن شكـــري مهملين في ظروف بئيسة ؟ ؟

ما جدوى التكريم بعد الموت ؟

ان الاسى في التكريم هـو ان ينال العباقـرة والممتازون تقديرا لجهودهم ، وجزاء عن اعمالهـــم يعوضهم عما لاقوه من حرمان ، وما كابدوه من مشاق. أساس التكريم ان يبدا في حياة مستحقيه لكي لا نعطي صورة مشوهة عمن آمنوا بالحق والخير والجمال ..

ولعل كل الذين عرفوا كفـاح ومواقـف بيـرم التونسي في شبابه ، وتـخيره لزجله لمقاومة الطغيان، وعرفوا الايام البئيسة التي عاشها في اواخر ايامـــه ، يوافقون على ان هذا الفنان الكبير قد هضم حقه ، ولم يعط ما يستحق من جزاء الا بعد مماته ، وهو جزاء غير تام لان ابناءه لم يجدوا ما يدفعونه لمصلحة الضرائب .

الرباط ــ محمد بـرادة



آفاق فنية

اعداد : **العربي المساري**

الفن العربي عبر التاريخ

نشرت دار البير سكيرة بجنيف كتابا ضخما بعنوان « **الرسم العربي** » جمعه **ريتشارد ايتينجهاوسن** محافظ فنون الشرق الاوسط في From Gallery of Arts بواشنطن ويحتوي هذا الكتاب على 81 لوحة بالالوان..

وفيه يبين المؤلف ان هناك اسلوبا عربيا في الرسم نشا في دمشق وبغداد ، وآخر اقل منه شانا في مصر وافريقيا الشمالية . وقد انتشر هذا الاسلوب العربي في الامبراطورية الاسلامية وطبع الرسم في العالم الاسلامي كله بتاثيره ، بعد ان كان في البداية خاصا بالشعوب الناطقة بالعربية ، وكان من شان حركة الفتح العربي انها نفخت في مراسم دمشق وبغداد روحا فنية مشبعة بالحماس ، استقطبت بذكاء كل العناصر المستعارة من ثقافات اخرى متباينة كالبيزنطية ، والساسانية والهندية والصينية ..

ويبين المؤلف ان نشاة هذا الاسلوب في دمشق يرجع الى القرن السابع ، حينما ظهرت نماذج في البناء والزخرفة المعمارية في كثير من القصور والمساجد وفي بعض السجاجيد التي تحتوي على رسوم للنباتات على هيئة هندسية ، وهذا الاسلوب لم يصل الى قمته الا في بغداد خلال القرن الثالث عشر ، حينما استطاع ان يكون شخصية متميزة ..

غير ان **ريتشارد ايتينجهاوسن** ، وهو اختصاصي في فنون الشرق الاوسط ، لا يكتفي بوضع هذه الخطوط العامة بل يتابع بحثه مبينا مختلف المؤثرات التي خضع لها الرسم العربي ، وكذلك ردود الفعل التي احدثتها التيارات السياسية والاجتماعية في هذه الآثار الفنية ، فعلى عهد الامويين اهتم الفنانون بتسجيل عظمة الامبراطورية العربية وانتصار العرب على البيزنطيين والفرس وذلك على قطع الفسيفساء ، ثم تطورت الموضوعات على عهد العباسيين واصبحت موضوعات فكرية نوعا ما ، وذلك مع ظهور الطبقة الوسطى البورجوازية ..

فبدا الفنان ـ وهو يعي دوره وقيمته الاجتماعية ـ يستمد موضوعاته من الحياة اليومية . وهذه مرحلة ازدهار كبير للرسامين الذين كانوا يزينون الكتب برسومهم وقد اختفى ذلك فجاة بفعل الزحف المغولي الذي فصل العراق وسوريا عن الشخصية العربية ، واتى على الاواصر التي كانت تربط هذه الشعوب بحياة اجتماعية واحدة ،كما شل حركة التبادل الفكري التي كانت نشيطة زاخرة ، على حساب الحركة الفنية ، فتدهورت مدرسة بغداد بفعل التاثيرات الآتية من فارس ، كما توقفت تماما الحركة الفنية في كل من سورية ومصر على عهد المماليك ..

والكتاب يتضمن لوحات لها موضوعات مختلفة من خلال تنوعها نستطيع ان نتبين روحا واحدة ومميزات واحدة تشكل في مجموعها ما يعرف «**بالرسم العربي** » ، والذي يؤكد اصالة هذا الرسم العربي هي هذه المظاهر الثلاثة الصفاء والرمز ووحدة الاسلوب ..

وفي الرسم العربي نجد ان العلاقة مع الطبيعة تكاد تكون مفقودة ، اما الواقعية فتتجلى احيانا في رسوم النباتات والحيوانات خصوصا في كتب الطب ، كما ان الالوان قليلة ولكنها غنية حية ، وهذا من اهم مميزات ثقافات البحر الابيض المتوسط مما لا يوجد في الفن الفارسي او المغولي ..

والرمزية احد المظاهر الرئيسية فى الرسم العربي والرسام العربي فى تزيينه للكتب لا يتقيد بالصبغة الادبية للنص بل يتوخى اعطاءها قيمة جمالية محضة .

وليس فى الرسم العربي نماذج للاجسام العارية، لان الرسام لايهمه من اجزاء الجسم الا الوجه واليدان، كما ان تعبير الوجه هو دائما موحد فالشخص فى الرسوم العربية يعتبر نموذجا اكثر مما يعتبر فردا مستقلا ..

والرسام العربي خلال هذا كله يظل وفيا للمباديء التالية : وحدة الاسلوب والصفاء والرمز ، وهذه الثلاثية تشكل مظاهر الرسم العربي وروحه وهذا مما جعل من الفن العربي فنا عالميا ليس مرآة تعكس حياة مجتمع معين ، ولا اداة تفقد قيمتها بتبدل الظروف الزمنية والمكانية بل فنا يتخطى جزئيات المكان والزمن ويحمل معه اضافات جليلة للتراث الفكري العالمي ..

موسيقى

الموسيقى والموسيقيون فى الاتحاد السوفياتي

عاد الموسيقار ستيرافنسكي اخيرا من الرحلة التي قام بها الى روسية ، وهو روسي الاصل ويقيم فى الولايات المتحدة منذ عدة سنوات يبلغ من العمر 80 عاما . .

وبمناسبة اقامته القصيرة بموسكو ، اقيمت حفلة كبرى فى مسرح الكريملين بمحضر كروتشوف والهيئة الوزارية بكاملها ، عزفت فيها سمفونية ستير افنسكي المشهورة ، « **عصفور من نار** » وقد استدعي من طرف كروتشوف للاقامة فى شبه جزيرة القرم حيث وضع فيلا انيقة تحت تصرفه . . وفيما يلي الحديث الذي ادلى به فى موضوع هذه الزيارة الى جريدة فرانس اوبسرفاتور موسيقي امريكي يلازم ستير افنسكي منذ عشر سنوات هو روبر كرافط ، وهو قائد اوركسترا ممتاز سجل لشركة كولومبيا الاعمال الكاملة لويبرن ، وقد نشر كتابا بالفرنسية بعنوان « **مع ستير افنسكي** » وآخر بالانجليزية بعنوان « **ذكريات وتعليقات** » وكلاهما عن علاقته بالموسيقار الروسي الامريكي الشهير .. وهذا نص الحديث :

روبر ــ كرافط ــ قمت بقيادة الاوركسترا فى سمفونيتين من مؤلفات ستيرافنسكي هما : **قداس الربيع والسمفونية ذات الحركات الثلاث،** لم يكلفني ذلك اكثر من خمس تدريبات ، فالموسيقيون الروس عباقرة موهوبون . وفى رايي ان المجموعتين الوترية والنحاسية عندهم ارقى بكثير من احسن ما يوجد فى المانية وهم يحفظون بسرعة ، ولقد اندهشت حينما سمعت العزف المنفرد الذي يتخلل (**قداس الربيع**) . وغير خاف انهم وجدوا فى هذه السمفونية كثيرا من الانغام الشعبية الروسية وعلى هذا فهي قريبة منهم ، اما فيما يتعلق **بالسمفونية ذات الثلاث** التي الفها ايجور فيما بين 42 و 45 فلم اجد نفسي مضطرا لكي اشرح لهم انها تصور آلام الحرب ، وان بعض اجزائها تصوير للمارش العسكري الالماني . .

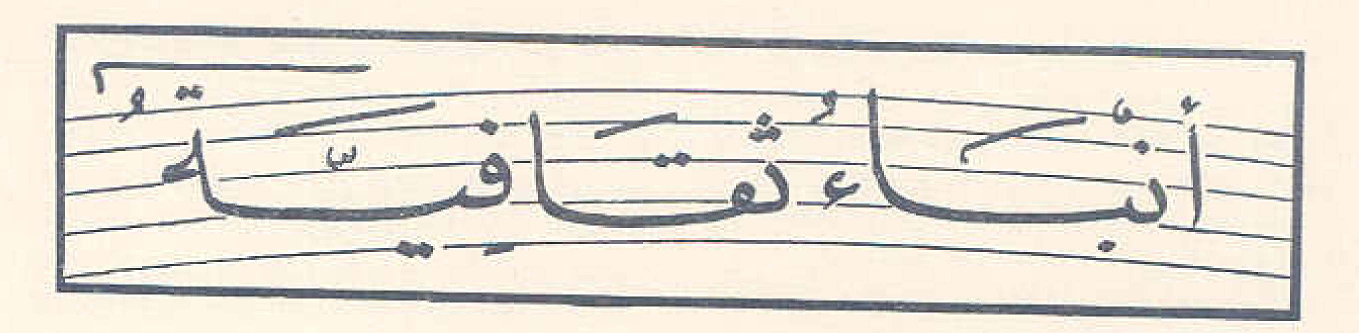
كوي ــ ديمير ــ وهل سبق لمؤلفات ستيرافنسكي ان عزفت فى الاتحاد السوفياتي ؟

روبر ــ كرافط ــ اظن ان ماركيفيتش وبيرنستاين ، قد سبق لهما ان قدما « القداس » ؟ وقبلهما . . كوسيفيطسكي فقد كان آخر من قدمها فى سنة 1914 وقد عزفت كثير من اعمال ستيرافنسكي، على الخصوص فى الباليه وذلك بعد موت ستالين ، وسوف يقدم « البولشوي » عن قريب « **العندليب** » او « **اعراس** » لكن اعماله الجديدة **كاورفي** لازالت مجملة

كوي ديمير ــ هل اتصلتم بالموسيقيين الشبان ؟

روبر ــ كرافط ــ لقد اتى كثير منهم لمقابلتنا خارج الوسط الرسمي وطلبوا منا اسطوانات وتوزيعات . . كما قابلنا ايضا خامتشادوريان ، وكوسطاكوفيتش ، كان هذا الاخير يتكلم بطريقته العصبية ، وتحمس كثيرا عند الحديث عن ماهلر ، وقد اندهش عندما سمع ان شونبرغ متأثر بماهلر ... اما الموسيقيون الشبان فهم اكثر الماما ، وهم رغم ثورتهم على التقليد وتحررهم من تاثير جلازونوف الذي لا زال بينا ، فان اعمال بعضهم تعزفها اكبر الفرق واشهرها . وهم متخصصون تقريبا فى وضع الموسيقى التصويرية للافلام فان افلاما عديدة تنجز عن رواد الفضاء ، وهذا مما يتيح لهؤلاء فرصة استخدام الموسيقى الالكترونية فالسينما تكون المورد الرئيسي لمداخيلهم ، وهم جميعا يعيشون فى رفاهية تامة وكثير منهم يعيش فى قصور فخمة كبيرة ...

بتصرف عن (فرانس اوبزرفاتور)



※ صدر عن مطبعة القصر الملكي الجزء الثاني من كتاب « العـز والصولة ، فى معالم نظم الدولـة » تأليف النقيب المرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان حققه وعلق عليه الاستاذ عبد الوهاب بن منصـور السكرتير الخاص لجلالة الملك .

※ شرعت المطبعة الملكية فى طبع كتاب « نظـم السلوك ، فى الانبياء والخلفاء والملوك » للشاعر المريني ابي فارس عبد العزيز الملزوزي ، وبحقيق الكتاب الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور .

※ صدر عن معهد الابحاث العلمية بالرباط كتاب « بنو زروال » للقاضي السيد البشير الفاسي

※ تجري الآن استشارات بين وزارة الدولـة المكلفة بالشؤون الاسلامية ووزارة التربية الوطنيـة المغربية من جهة اخرى ، وبين الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب من جهة اخرى فى شأن تكوين مجمع لغوي بالمغرب على غرار المجامع العربية الاخـرى استجابة لطلب المكتب الدائم للتعريب ، وقد وضـع المشروع المؤسس ، وينهمك المسؤولون الآن لاعـداد الوسائل واتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيقه .

※ انتخب المؤتمر العـام لمنظمة اليونيسكو اعضاء مجلسه التنفيذي وعددهم 18 عضواً من بينهم خمسة افارقة وعلى رأسهم الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية .

※ قررت حكومة جلالة الملك ان تساهم فى تمويل مسجد مدريد ، ومن الجدير بالذكر ان سفراء الدول الاسلامية قد قرروا اثناء اجتماع انعقد فى مدريد بناء مسجد لفائدة المسلمين المقيمين فى العاصمة الاسبانية .

※ شارك وفد مغربي فى الذكرى الالفية لفيلسوف العرب ابي يعقوب بن اسحاق الكندي التي اقيمت فى مهرجان تاريخي فى بغداد ، ويتركب الوفد من الاساتذة: عبد الله كنون ، محمد الفاسي ، ابو بكر القادري ، محمد بن تاويت ، جواد الصقلي ، محمد البشير .

※ ستنشأ فى مدينة فاس ثلاثة متاحف الاول منها خاص باحياء التراث التاريخي للبلاد وللعاصمة العلمية على وجه الخصوص ، والثاني خاص بالاسلحة، والثالث سيطلق عليه المتحف الجهوي الذي سيشتمل على مظاهر الآثار القديمة والمنتجات العتيقة للمدينة والاقليم .

※ عقد فى باريس مؤخرا اجتماع منظمة اليونيسكو ، وبهذه المناسبة ترأس الدكتور يوسف ابن العباس وزير التعليم الوفد المغربي لدى هذا الاجتماع ، واغتنم وجوده بالعاصمة الفرنسية فدشن اول مدرسة ابتدائية للبعثة الثقافية المغربية فى فرنسا .

※ ينهمك المكتب الدائم للتعريب فى تحضير برنامج اسبوع التعريب وتتصل هيئته الاداريـة بمختلف الهيئات الثقافية والدبلوماسية لهذا الغرض وفى هذا النطاق اتصل الملحق الصحافي للمكتب بالسيد المستشار الثقافي للجمهورية العربية المتحدة ، والسيد المستشار الثقافي للجمهورية العربية السورية كما اتصل بعدة شخصيات دبلوماسية اخرى لهذا الغرض ، وقد توصل جميع سفراء الدول العربيـة برسائل من السيد رئيس الشعبة الوطنية للتعريب الاستاذ محمد الفاسي يرجو منهم التعاون لاقامة هذا المهرجان العربي العظيم .

※ يقوم الدكتور حبيب القيسي الاستاذ بالمعهد العراقي العالي بالدار البيضاء بدراسة مفصلة عن التيارات الادبية فى المغرب الاقصى تتناول دراسة اجتماعية عن المغرب العربي الكبير فى خصائص

الشخصية المغربية واثر تلك الخصائص في تحديد نوعية المنازع الفكرية في المجتمع المغربي ، كما تناول بحث المذاهب ودراسة نقدية لاهم الآثار الادبية ، وهو يتصل الان بمختلف الجهات والشخصيات التي يعنيها الامر .

* وصل الى المغرب مائة استاذ من الجمهورية العربية المتحدة لتدريس الرياضيات والعلوم بالمدارس الابتدائية والثانوية المغربية .

* اجتمع ممثلو الدول العربية والاسلامية في عاصمة اسبانيا وتباحثوا في امر بناء مسجد بهذه العاصمة ، وقد اتفقوا على ان يطلبوا من دولهم الاكتتاب في الموضوع على نسبة الحصة التي تنوب كل دولة من دولهم في الامم المتحدة ، وبناء على ذلك فقد اخبرت وزارة الاحباس ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية باستعدادها للمساهمة بخمسين الف درهم في نفقات المشروع .

* « فوارة الظمأ » كتاب جديد صدر في هذه الايام لمؤلفه محمد الصباغ عن الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس .

* استجابة لكتاب بعثه معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية لجلالة الملك ، تبرع جلالته من ماله الخاص بخمسة ملايين فرنك على اللجنة الاسلامية التي تأسست في كوريا الجنوبية لبناء مسجد ومعهد اسلامي بهذا القطر .

* يواصل « انور الجندي » العمل في موسوعته عن « معالم الادب العربي المعاصر » التي بدا العمل فيها منذ خمس سنوات . وصدر منها حتى الآن

— معركة المقاربة والتجمع في الادب العربي المعاصر .

— النثر العربي المعاصر في مائة عام

— المعارك الادبية في الشعر والنثر والثقافة واللغة

ويصدر خلال شهر مايو الملحق الرابع من هذه الموسوعة عن :

(الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية)

هذا ويعد المؤلف الابحاث الباقية من الموسوعة عن :

(الصحافة — الشعر — القصة — اللغة العربية — ادب المرأة العربية) .

* « معالم الطريق » قصة للكاتب السوداني محمد محجوب تصدر في اواخر هذا الشهر .

* اعلنت الامانة العامة للتضامن الافريقي الاسيوي بان المؤتمر الثالث الافريقي الاسيوي سيعقد في دار السلام « طنجانيقا » من 7 الى 12 من هذا الشهر ، سيكتسي هذا المؤتمر صبغة هامة جدا حيث انه ينظر في القضايا المتعلقة بتحرير بلدان افريقيا الشرقية من النير الاستعماري .

* افتتح في اكرا المؤتمر الدولي للاخصائيين في الابحاث الافريقية العلمية باشتراك نحو 200 عالم ينتمون الى شتى اقطار العالم ، في ذلك الوقت ، بما في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وعدد من الدول الاروبية ، ويرجع الفضل في اعداد هذا المؤتمر الى الباحثين الافريقيين .

* عثرت بعثة مختصة في بحث طبقات الارض بالقرب من سانت ارنو في ناحية سطيف على قبر يضم هيكلا عظيما يعود تاريخه الى ازيد من سبعة آلاف سنة وتبين من البحث ان الانسان دفن جالسا حتى ان ركبتيه كانتا متصلتين بذقنه .

* علم ان ثمانمائة مجلد من المراجع الاساسية سيتم بعثها قريبا الى المكتبة الجامعية بالجزائر التي سبق للغلاة الارهابيين الفرنسيين ان اشعلوا فيها النار التي التهمت مقادير هائلة وعددا كبيرا من المؤلفات القيمة . وسيتم ايفاد هذه الشحنة من الكتب في نطاق الحملة التي شنتها جمعية يتراسها السيد جان روش مدير اكاديمية باريس لاعادة المكتبة الجامعية بالجزائر ، والكتب المذكورة تشمل مواد الحقوق والآداب والطب والصيدلة .

* تنظم غانا مهرجانا ثقافيا بمدينة اكرا في الصيف المقبل .

* تقوم مكتبة العرب بالقاهرة بطبع كتاب « البخلاء » للخطيب البغدادي ، بعد ان حققه احمد

ناجي القيسي ، وخديجة الحديثي ، واحمد مطلوب ، والكتاب نسخة نادرة محفوظة فى المتحف البريطاني .

* عقدت الحلقة الاقليمية لعلم المكتبات والتوثيق وتبادل المطبوعات فى القاهـرة فى الاسبوع الماضي ، ونظم هذه الحلقة المجلس الاعلى للعلوم ، والمركـز القومي للبحوث بالجمهورية العربية المتحدة بالاشتراك مع منظمة اليونيسكو الدوليـة ، وشـارك فى الحلقـة 36 عضوا يمثلون 11 دولة منهـا : المغرب وليبيـا ، والاردن ، ولبنان ، والسـودان ، والجمهوريـة العربية المتحدة ، واليمن ، وقطر ، وعمان ، كما شارك فيهـا 83 خبيرا وعالما يمثلون المنظمات الدولية ، والامانـة العامة للجامعـة العربيـة .

* الشـعراء الثلاثـة الذين فـازت قصائدهم فى مباراة « وحي الثورات الشعبية فى آسيا وافريقيـا » هم ابراهيم ناجي ، ومحمد السيف الشريف ، وممتاز سـلطان .

* نعت القاهرة الحاج امين عبد الرحمن صاحب مجلـة « الاسـلام » .

* صدر عن منشورات دار العرب بالقاهرة كتاب « صـفحات من حيـاة الرصـافي وأدبـه » .

* عقد فى القاهرة مؤتمر بحث العامية والفصحى تحت اشراف المجمع اللغوي بالقاهـرة .

* احتفل طه حسين بعيد ميلاده ، وبدا عامه74

* يقوم الاستاذ رضوان ابراهيم بجمع تـراث المرحوم احمد زكي ابو شادي الـذي لـم ينتشـر ، وسيصدر فى القاهرة فى اربع دواويـن هي : الانـسـان الجديد « الفيروز الحر » « من اناشيـد الحيـاة » (ايزيـس) .

* احتفل فى القاهـرة بعيـد العلم الثامـن .

* اصدر الدكتور حسين وجيب كتابا بعنـوان : « فـن الادب العربي والتركي » وهذه اول دراسة من نوعها فى الادب الاسلامـي المقارن .

* صدرت الطبعة الجديدة لكتاب « المدخل الى النقد الادبي » للدكتور محمد غنيمي هلال ، ويعتبـر من اكبـر الموسوعات النقديـة فى المكتبـة العربية .

* ترجم الى الايطاليـة « الوعد الحق » لطـه حسـين .

* يعد الاستاذ يوسف اسعد داغر البيبلوغرافي المعروف بحثا عن تاريخ الاستشـراق الانجليـزي ومساهمة العلماء البريطانيين فى تطوير الدراسـات العربيـة والاسلاميـة .

* احتفلت نقابة الصحافة اللبنانية بالشاعـر المهجري شفيق معلوف الذي زار بلاده مؤخرا .

* صـدر حديثا فى بيروت كتاب « مع الطليعـة » لمؤلفه الاسـتـاذ فؤاد صـروف .

* نعت لبنان المربي المعروف والكاتب واصـف البارودي .

* صدر عن منشورات الندوة اللبنانية ببيـروت كتـاب « ارضـنا الجديدة » لصاحبه خليـل رامـز مركيـس .

* صـدر فى بيروت ديوان « نـوار » لجوزيـف غصيـن وهو ثاني كتاب لبناني يصدر بالحرف اللاتيني الكتاب الاول لسـعيـد عقل وعنوانه « يارا » .

* توفى فى بيروت مدير مجلس العلماء ، وعضو مجلس اوقاف بيروت الاداري العالم الجليل محمـد احمد عساف .

* فـاز ديوان « طيور ايلول » لاملي نصـر الله بجائزة سعيد عقـل .

* توفى فى بيروت عميد المثالين فى لبنان النحات يوسـف الحويك ، وقد كان لوفاته اثر كبير فى نفوس اصدقائـه ومحبي فنـه .

* انتهى سعد صائب من تاليف عنوانه « خطرات فكر » قام بتقديمه سعد عقل .

* العالم الحر الجديد فى البلاد العربية وسـائـر بلاد آسـيا وافريقيـا » كتاب جديد اعده للطبـع محمـد جميـل بهيـم .

* يعد الاستاذ داود عمون كتابا جديدا عن العلامة الفقيد الشيخ محمد الجسر رمزي الذي تولى رئاسة المجلس النيابي امدا طويلا .

* نعت لبنان الدكتور داود ملحم سلمان .

* « عاشق حورية » تمثيلية من فصلين تاليف ادمون معوض ، صدرت حديثا باللغة الفرنسية في بيروت .

* « تيريزدي كيرو » رائعة فرانسوا مورياك الفائز بجائزة نوبل ، ترجمه الى العربية الاستاذ جورج سالم .

* « حوار » مجلة جديدة صدرت عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة ببيروت .

* اقامت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ببيروت حفلة تذكارية للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون .

* تقدم الاستاذ فؤاد البستاني رئيس الجامعة اللبنانية باقتراح الى اليونيسكو لاقامة مهرجان كبير للامام علي بن ابي طالب بمناسبة انقضاء 1300 سنة على وفاته .

* صدر عن دار الرائد بحلب لتوفيق اليازجي ديوانه الشعري الثاني بعنوان « رتبة الفضول » وللشاعر ديوان آخر « نداء الام » .

* صدر للشاعر السوري نزار قباني كتاب نثري بعنوان « الشعر قنديل اخضر » وهو مجموعة مقالات ودراسات تحليلية ونظريات في الشعر والشعراء .

* اقام المركز الثقافي العربي بحمص مؤخرا مهرجانا للقصة اشترك فيه كثير من القصاصين .

* جورج السالم القصاص الحلبي تصدر له قريبا في منشورات عويدات قصة عنوانها « في المنفى »

* « ثورة ودم » مجموعة شعرية صدرت لمؤلفها غسان طربية في دمشق .

* « التسكع والمطر » مجموعة شعرية صدرت عن دار ابن زيدون بدمشق للشاعر اسماعيل عامود .

* تصدر قريبا عن دار الشرق بدمشق رواية « الوحل يغرق العالم » لمؤلفها اسكندر لوقا .

* صدور في لبنان كتاب « ثورة ودم » لغسان طربية وهي مجموعة شعرية طبعت في اللاذقية .

* صدرت عن دار دمشق مجلة باسم « الفكر الحديث » .

* نعت دمشق العالم القاضي الشيخ محمد حسن الشطي .

* صدر عن مجلس الآداب والفنون بدمشق « ديوان البزم » في جزئين باشراف الشاعرين سليم الزركلي وعدنان مرديم بك .

* صدر في دمشق الجزء الاول من كتاب « الجامع في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره » من تأليف الفقيد محمد سليم الجندي وتحقيق عبد الهادي هاشم امين.

* صدر عن وزارة الثقافة بدمشق كتاب « فنون وصناعات دمشقية » للاستاذ منير كيال .

* تولت الكاتبة السورية كوليت الخوري سكرتيرية تحرير مجلة « المضحك المبكي » بدمشق .

* ظهر في السعودية كتاب جديد بعنوان « زوجة من الخارج » لصاحبه خالد خليفة .

* سيقدم للطبع الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة « المنهل » كتابا عن تاريخ مدينته جدة .

* « ورد الصباح » اسم ديوان صدر في هذا الاسبوع للشاعر السعودي سعيد الخنيزي .

* « الخلق الفاضل في ضوء الاسلام » كتاب جديد صدر في المملكة السعودية لعبد العزيز البيعي .

* عقدت الشعبة الوطنية الاردنية للتعريب اجتماعها السادس برئاسة الاستاذ السيد قدري طوقان وقررت العمل على انشاء مجمع لغوي اردني استجابة لطلب المكتب الدائم للتعريب كما قررت

ايضا الموافقة على طلب المكتب الرامي الى اقامة اسبوع للتعريب من اجل التعريب بجهود العرب فى ميدان التعريب العربي من 3 الى 9 يناير 1963 وكونت لجنة لهذا الغرض من اعضاء الشعبة الوطنية المذكورة .

* ترجم الكاتب الاردني عيسى الناعوري مجموعة قصصية ايطالية الى اللغة العربية .

* صدر فى بغداد خلال الشهر الماضي كتاب « نقد وتعريف » لمؤلفه الاستاذ عبد الله الجبوري عضو رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

* صدر العدد الاول من روائع المسرح العراقي التي تصدرها فرقة مسرح بغداد الفني .

* قدم للطبع فى بغداد ديوان ابي بكر الصنوبري المتوفي عام 334 هجرية ، الذي كان امينا على خزانة كتب سيف الدولة الحمداني ، واشتهر بوصف الطبيعة .

* تلقى ثلاثة من العلماء المسلمين فى العراق دعوة من المراكز الاسلامية فى الاتحاد السوفييتي لزيارة الاتحاد السوفييتي والاطلاع على حياة المسلمين هناك .

* الدكتور شاكر خصباك صدر له كتاب « بيت الزوجية » عن مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .

* ستستانف مجلة « الكتاب » العراقية صدورها .

* صدر فى بغداد « ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني » تحقيق وشرح خليل ابراهيم العطية وتقديم محمد رضا الشبيبي وقد طبع بمساعدة وزارة المعارف العراقية .

* اصدرت الشاعرة حياة النهر ديوان « اغنيات للثورة » .

* صدر عن اتحاد الادباء العراقيين مجموعة قصص بعنوان « الاعصار » لصاحبها زهدي الداودي .

* صدر فى كربلاء للاستاذ سلمان هادي كتاب تحت عنوان ، « ابو المحاسن » الشاعر الوطني الخالد .

* الكتب الآتية صدرت مؤخرا فى بغداد :

* « هذه هي الصوفية » كتاب صدر فى هذه الايام ببغداد لمؤلفه ابراهيم الكوار .

* « الجريمة » كتاب يبحث عن الجريمة ومفهومها فى مختلف ادوار التاريخ الانساني ، صدر عن جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد لصاحبه شاكر العاقي .

* انتهى الشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي من كتابة مسرحية جديدة بعنوان « محاكمة فى نيسابور » كما انتهى من تاليف ديوان جديد بعنوان « النار والكلمات » .

* « الانتظار والمطر » مجموعة قصص صدرت حديثا فى بغداد لمؤلفها موفق خضر .

* افتتح مؤخرا فى بلغراد المهرجان الدولي للكتاب

* بدات مطابع لينينغراد بطبع معجم للهجات العرب فى بخارى .

* صدر كتاب جديد عن الاسلام طبعت منه اكاديمية العلوم السوفييتية 20 000 نسخة ، ومؤلف هذا الكتاب هو البروفيسور ل . ى . كليمو فيتش من كبار العارفين السوفييت فى الاسلام .

* منحت جائزة نوبل للفيزياء لهذه السنة للعالم الروسي الكبير لاندو ، تقديرا لنظرياته التي فتحت السبيل للابحاث حول تجمع المواد وخاصة الهيليوم السائل ، كما احرز العالم السوفياتي دافيد وفيك على جائزة نوبل للعلوم الطبيعية .

* طبعت دار منشورات الآداب الشرقية فى موسكو مجموعة من « الحكايات العربية » المأخوذة من مخطوطة عربية قديمة اكتشفت فى جامع ايا صوفيا .

* صرح المهندس الاسباني السيد فونطس كيرا ان مدينة قرطبة التي يربطها مع العالم الاسلامي ماضي مجيد وتقاليد عريقة ستشهد قريبا بناء جامعة اسلامية بضواحيها .

* منحت اكاديمية الاداب البيرنية (جائزة الادب الكبرى) التي تقدمها مدينة بو للسيد ج . أ . كتالا مكافأة لكتابه (البيارن وشارل دوبوردا) وفي هذا الكتاب يتحدث الصحفي والاديب عن حياة ومؤلفات اكثر الاصدقاء اخلاصا لفرانسيس جيمس .

* انتخب جوزيف كيسل المؤلف القصصي والمراسل الصحفي الذي يبلغ الرابعة والستين من عمره في هذا الاسبوع ، احد الخالدين في الاكاديمية الفرنسية .

* انتخب السيد ريني ماهو الفرنسي الجنسية مديرا عاما لمنظمة الاونيسكو ، وهو اول فرنسي يتقلد هذا المنصب خلفا للسيد فرونير الايطالي الجنسية .

* انشا بالعاصمة الفرنسية مكتب افريقي للاتصال داخل منظمة اليونيسكو التي عقدت مؤتمرها الثاني عشر بباريس ، وعهد الى هذا المكتب بالعمل على التنسيق بين آراء ووجهات نظر الوفود الافريقية حول المواضيع المسجلة في جدول اعمال الدورة .

* احتفلت فرنسا مؤخرا بمرور 300 سنة على وفاة كاتبها باسكال ، وقد كان الاحتفال تحت شعار « باسكال الاديب والنظري والمهندس والفيلسوف » .

* بمناسبة بلوغ جان كوكتو عامه الثالث والسبعين اصدر كتابا بالاشتراك مع اندريه فرديه .

* قبل الرئيس الامريكي السابق ايزنهاور العمل في هيئة تحرير دائرة المعارف الامريكية بوظيفة رئيس المجلس الاستشاري لهيئة التحرير .

* صدر في لندن كتاب « على مسؤوليتك الخاصة » للصحافي الكبير هيوكا ادليب سجل فيه مذكراته وروى قصص الكفاح الصحفي وصدماته وضحكاته .

* صدرت طبعة جديدة من كتاب « تاريخ العالم » للكاتب والرئيس جواهر لال نهرو يضم مجموعة من الرسوم للفنان هوارين .

* صدر في لندن مؤخرا كتاب بعنوان « مذكرات سائق تاكسي » اعتبره النقاد أهم وأطرف الكتب التي صدرت حديثا ومؤلفه سائق تاكسي .

* قررت الحكومة البريطانية تقديم 25 000 جنيه استرليني لتأمين استمرار العمل على انقاذ آثار النوبة التي ستلقيها مياه النيل .

* اعلن « ول ديوارنت » مؤلف كتاب (قصة الحضارة) انه اصدر اخيرا الجزء الاول من المجلد السابع لهذا الكتاب : (بدانا عصر العقل) أما الجزء الثاني فسيصدر سنة 1963 بعنوان : (عصر لويس الرابع عشر) والجزء الثالث سنة 1965 بعنوان : (عصر فولتير) وبهذا الكتاب سيكون المؤلف قد انهى موسوعته العظيمة في تاريخ البشرية .

* عرضت في لندن اخيرا آلة جديدة للتعليم تقول الشركة التي صنعتها انها باستطاعتها ان تدرس اي موضوع باية لغة ، وسيباشر افتتاح هذه الآلة في الشهور القادمة القريبة .

* نظمت الامم المتحدة احتفالا كبيرا بمقرها في نيويورك احتفاء بالذكرى الرابعة عشرة للاعلان عن حقوق الانسان .

* قررت الجمهورية العربية المتحدة اقامة تقليد جديد في الاحتفال بذكرى العلماء العرب ، عن طريق اصدار طوابع بريد تذكارية في العام القادم . وستبدأ الجمهورية العربية باصدار طوابع بريد تذكارية في ذكرى كل من : ابي الصائغ ، ابن رشد القرطبي ، ابن الهيثم الفلكي ، ابن البيطار الملقي ، الزهراوي ، عائشة التيمورية ، عبد الله ابو السعود ، حسين توفيق العدل ، علي مبارك .

* قررت هيئة اليونيسكو منح وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية المتحدة مبلغ 2،619،000 دولار لتنفيذ انشاء مشروع المعهد العالي الفني بالمنصورة وتجهيزه ، وتزويد معهد البترول بالسويس بالخبراء والمعدات والبعثات اللازمة لمدة خمس سنوات .

وتعتبر هذه المنحة اكبر منحة تمنحها هيئة اليونيسكو في تاريخها لاحدى الدول الاعضاء .

فهرس العدد الثالث ـ السنة السادسة

صفحة

دراسات اسلاميــــة :

1 فلسفة هيجل وماركس للتاريخ . . . . للاستاذ ابي الاعلى المودودي
7 الحضارة الغربية كما يراها محمد اقبال . . . . للاستــاذ ابي الحســن علي الحسنــي الندوي
11 مسؤولية الفرد في الاسلام . . . . الشيخ حسن خالد
17 الاثر النفسي للمسجد . . . . للاستاذ جمال بغدادي القادري
19 الحركة الدينية في عهد المرابطين . . . . للاستاذ محمد بن ادريس العلمي
22 الدين والمجتمع . . . . للاستاذ الحسن السائح
24 دواء الشاكين وقامع المشككين . . . . للدكتور تقي الدين الهلالي

ابحــاث ومقــالات :

27 الكائن والشعور بالكينونة . . . . للدكتور محمد عزيز الحبابي
31 نحو تحديد محتوى ثقافتنا القومية (بين الماضي والحاضــــر) للاستاذ محمد زنيبر
35 الى اين يسير التطور الاجتماعي بالمغرب ؟ . . . للاستاذ المهدي البرجالي
41 لغــة المغــرب العربيــة . . . . للاستاذ محمد عبد الله الكامل الكتاني
44 اللغة العربية في معركة التغريب والتبعية الثقافية للاستاذ انور الجندي
47 مدار الخلاف بين الاتحاد السوفياتي والصين . للاستاذ محمد جميل بيهم

ديــوان دعــوة الحــق :

51 آمنت بالشعب فردا لا شريك له . . . . لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء
54 اصحيح مات حبي . . . . للشاعر الاستاذ عباس الجراري
56 رحلــــــة . . . . للشاعر محمد الخمار
58 قفــص المــوت . . . . للشاعر محمد حسن الطريبق
59 الاسراء والمعراج معجزة كبرى . . . . عوض عبد الرحمان الترابي

معــرض الكتــب :

61 انت وانا : شعر : بول جيرالدي ـ ترجمة : نقولا فيــــاض . . . . علق عليه الاستاذ حسن الوراكلي

القصـــــة :

65 الطالبة والاستاذ (قصة هندية) . . . . ترجمة الاستاذ عبد اللطيف الخطيب
67 كهــف الرمـــــاة . . . . للاستاذ محمد الامري

69 **اصــداء الثقــافــة والفكــر** . . . . الاستاذ محمد برادة

72 **آفـــاق فنيــــة** . . . . اعداد الاستاذ العربي المساري

74 **الانبــاء الثقــافيــة**